

الجزء الأول

في علم النفس

السيكولوجيا

تعريف أولية

تعريف علم النفس وموضوعه - يبحث علم النفس في أحوالها
ومسكاتها وطبيعتها وهو علمان علم تجريبي وعلم عقلي فعلم النفس التجريبي
هو علم دراسة ظواهر الحياة الداخلية ونواميسها دراسة تحقيقية أى عملية
مجردة عن كل نظر جدلي، لا دخل لها في عالم الماهيات أو العلل الأولى
أو الغايات الأخيرة كما يفعل الطبيعي في دراسة بعض الظواهر باحثاً عن
نواميسها دون الدخول في ماهية المادة ولا كيفية وجودها . كذلك عالم
النفس لا يشتغل إلا بتحديد الأمور النفسية دون البحث عن ماهية
النفس ذاتها . أما علم النفس العقلي فهو دراسة النفس من حيث طبيعتها
وأصلها ومصيرها لا من حيث أحوالها وقواها وسنتكلم عليه في علم ما بعد
الطبيعة إن شاء الله تعالى

النفس على العموم - يوجد في العالم كائنات حيّة هي النبات
والحيوان والإنسان وكائنات غير حيّة كالمعادن

فالأولى متعضونة تتغذى فيها أصل حيوى هو الروح أو النفس
والأخرى مجردة عن هذه الصفات

والأولى تنمو حسب نوعها بتأثير روحها والأخرى تبقى على حالتها
الأولى التى وجدت عليها ما لم تتغير بفعل فاعل أو بمؤثر خارجى
فالنفس إذاً مصدر الحركات الخاصة بالكائنات الحية أو مصدر الحياة
الحياة على العموم — الحياة هى خاصية توجد فى الكائن الحيّ ، بها
يتحرك بالإرادة

الحياة على ثلاثة أنواع (١) حياة عضوية أو نباتية خاصة بالنبات
(٢) حياة هسية أو حيوانية خاصة بالبهائم (٣) حياة ناطقة هرة خاصة
بالإنسان . أما صفة الأولى فالتغذية والنمو ، وصفة الثانية الحس الطبيعى
والحركة المستقلة ، وصفة الثالثة النطق (العقل) والإرادة : بمعنى أن جميع
حركاتها روحانية والحياة فى جميع الأنواع الثلاثة مصدرها الروح أو النفس .
وإذا لاحظنا ظواهر الحياة فى الإنسان نراه يتغذى وينمو كالنبات ويحس
ويتحرك كالحيوان وفوق ذلك يعقل ويفعل مختاراً — فهو إذاً يجمع بين
أنواع الحياة الثلاثة . ولكن لا يوجد غير روح واحدة هى الروح البشرية
فأثرة علم النفس — (١) علم النفس يُعرف به أشرف جزء فى
تكويننا وهو الروح فلا يعادله إذاً علم آخر ولا يرى الإنسان أنفع
منه درساً

(٢) من علم النفس تستمد القضايا الضرورية لعلم المنطق بمعرفتنا
للحالات العقلية ؛ ولعلم التوحيد بمعرفتنا بأنفسنا وما فىنا من نقص فترقى بها

الى معرفة الذات التى تنزهت عن كل عيب ؛ ولعلم الأخلاق بمعرفتنا
للإرادة والأفعال ؛ ولعلم التربية بمعرفتنا للقوى النفسية التى تسعى لتهدئتها
ولعلوم التاريخ والتشريع والإقتصاد السياسى وجميع العلوم الأدبية بمعرفتنا
للشخصية البشرية ونتائجها . تلك مزايا علم النفس

استمداد علم النفس — يستمد علم النفس البشرية من دراسة الأفعال
والظواهر التى هى مصدرها لأن الكائنات كما لا يخفى يدل عليها أثرها فى
الوجود مثلاً :

(١) الشكل والوزن واللون والرائحة والصلابة والكشافة وانبعاث
الحرارة وانعكاس الضوء وانتشار الصوت والكهرباء وتجاذب الأفلاك
ونحوها كل هذه عرفتنا الأجسام الخارجة عن نواويس الحياة والعوامل
المهمة فى الطبيعة

(٢) التنفس والنمو والحركة عرفتنا الأجسام المتعضونة والحية
(٣) الفكر والرأى (الحكم على الشئ) والقياس العقلى وأفعال
الإرادة الحرة عرفتنا روحنا

أما علم النفس وطريقته — يبحث علم النفس كما قدمنا فى أحوالها
وللحصول على ذلك يجب أن يبحث عن هذه الأحوال فى أنفسنا أولاً ثم
فى غيرنا من أمثالنا ثانياً وهو ما يسمونه بالملاحظة . والملاحظة نوعان
مشاهدة ذاتية ومشاهدة خارجية

فالملاحظة الذاتية ما كانت عن طريق الوجدان والتأمل

والوجدان ملكة من ملكات النفس البشرية تدرك بها حالاتها
وتؤديها اليها فنشعر بها

والتأمل أو مراجعة الانسان نفسه من شأنه أن يفسح للنفس لكي
تجيد معرفة أفعالها وأحوالها المختلفة

والمناهضة الخارجية — أولاً — النظر في أحوال الحاضرين والغابرين
لنستخلص منها ما فكروا فيه وشعروا به ورغبوا فيه أو كرهوه بمطالعة
أعمالهم التي هي ترجمان حياتهم المسطورة في كتب السير والتاريخ والأدب
والآثار والتشريع والفنون والديانات . . . الخ

ثانياً — مقارنة أحوال النفس المختلفة بين كهل تام الصحة مشقف
العقل وطفل لم يتم عقله ومنله في عقله دخل أو اضطراب ومتوحش لم
يستكمل عقله بالتربية

هذا وقد يفيد في علم النفس مقارنة الانسان بالحيوان الأعجم
وثمره المشاهدة الخارجية استكمال نتائج المشاهدة الذاتية أو تحقيقها
على وجه يقربها من الحقيقة لأن الأولى (أى المشاهدة الذاتية) هي الأساس
والأصل في دراسة قضايا علم النفس

يضيف علماء النفس الى نوعى المشاهدة نوعاً آخر هو التجارب التي
يخضعون منها بعض نواميس تفيدهم في الحصول على بعض حقائق نفسانية
كاستشهادهم ببعض الحوادث الماضية في تأييد نظرياتهم — أو النتائج التي
يحصلون عليها من تأثير الأنظمة الاجتماعية في الأمم — أو اثر القوانين

في درجة أخلاقهم أو في الثروة العامة — أو ثمة طرق التربية المختلفة أو مضارها في الطبقات البشرية

وليس الفرض من هذه التجارب الحصول على نتائج أكيدة تؤدي إلى تغيير أو تعديل في الظواهر النفسية كما هي الحال في علوم الطبيعة من تأثير التجارب في الحقائق العامة والظواهر الطبيعية — إنما هي تجارب أو ملاحظات قد تكون قريبة أو بعيدة عن الحقيقة ولكنها تقرب المباحث النفسية من الأذهان

وهناك علم حديث اسمه (الفسولوجيا النفسية) وهو علم يبحث عن ارتباط المجموع العصبي والمنح على الخصوص بالظواهر النفسية — يطبق المشتغلون به التجارب الفسولوجية على الأفعال النفسية المرتبطة بها . وأحوال الحس الخارجى على ما يظهر هي الأحوال الفسولوجية الوحيدة المرتبطة مباشرة بأسباب طبيعية محسوسة بالتجارب

وعلماء الفسولوجيا النفسية يشتغلون بالبحث عن سرعة الحس ومدة استمراره ومقدار التأثير الطبيعي المتناسب مع أول درجات الحس — والارتباط الواقع بين تغيرات التنبيه الخارجى وأسبابه وتغيرات الحس — وأبحاثهم هذه لا تزال عرضة للنقد والتجريح وإن كانت لا تهم علماء النفس كثيراً لأن الظواهر الفسولوجية المرتبطة بالظواهر النفسية ليس لها إلا أهمية ثانوية عندهم ومهما تكن قيمة هذه المباحث فالذى لا شك فيه أن علم النفس علم حقيقى أسلوباً وموضوعاً

أقسام علم النفس — علم النفس قسمان — عملى أو تجريبي

(وهو المبني على التجارب) وموضوعه أحوالها وما كانتها وعقلي وموضوعه طبيعة النفس وهو من خصائص علم ما بعد الطبيعة . والقسمان مختلفان في موضوعهما وأسلوبهما فالأول أساس مباحثه المأهولة أى على طريقة الاستنتاج والثاني أساس مباحثه القياس العقلي وشيء من التجارب أيضاً

علم النفس العملى او التجريبي

هذا القسم فيه مبحثان :

(١) حالات النفس والظواهر النفسية

(٢) مدركات النفس

(١) حالات النفس والظواهر النفسية

مصدر هذه الحالات هو الروح أو النفس لأنها مصدر كل فعل حيوى فينا - ولكن ليست كل هذه الأفعال بلا تمييز بينها موضوع علم النفس لأن بعضها أفعال وحركات عضوية محضة والأخرى روحية محضة فتكون الأولى خاصة بالجسم والثانية بالروح وغيرها مشترك بين الجسم والروح ولكنها من خواص الروح أولاً وبالذات والأفعال والحركات العضوية مثل الهضم وتمثيل الغذاء والدورة الدموية والتنفس والنمو والحركات العصبية والعضلية الخ هذه من موضوع علم التشريح والفسيولوجيا وتسمى كلها بالظواهر الفسيولوجية

وأما الأفعال أو الحالات النفسية — مثل التفكير على اختلاف أنواعه وهي الشوق . والذكر . والرأى . والاستدلال . وقوة الإرادة . والاختبار . وما الى ذلك وكذا الحالات المشتركة مثل التأثيرات المفرحة أو المؤلمة التي تحدث في أنفسنا عند مشاهدة مناظر خارجية كبيتان جميل أو نار مشتعلة أو نحوها — فهذه كلها من خصائص علم النفس وتسمى بالظواهر النفسية الفسلوجية

الفروق بين الأفعال الفسلوجية والأفعال النفسية

تختلف هذه الأفعال بعضها عن بعض باختلاف الأصل فيها أو الغرض منها وطريقة علمنا بها

اختلاف الأصل — الظواهر الفسلوجية مادية صرفة يمكن مقاسها كتحديد مدة الهضم لأي مادة غذائية أو معرفة شكلها وأطوالها مثل أعضاء الدورة الدموية والتنفس والهضم . أو كونها تشغل مكاناً معيناً في الجسم كجريان الدم فلا يكون إلا في الشرايين والأوردة وحركة الهضم لا تكون إلا في المعدة وما يتبعها من أجزاء الجسم

وأما الأفعال النفسية الفسلوجية فهي أفعال روحانية غير مادية كالروح نفسها وهذه لا مكان لها ولا شكل ولا مقاس ولا وزن ولا تنتهي مطلقاً الى حركات مادية

اختلاف الغرض — الظواهر الفسلوجية الغرض منها حفظ صحة الأجسام ونمو العضلات والأعصاب والعظام وباقي أجزاء الجسم البشرى

والظواهر النفسية الغرض منها أيضاً حفظ الجسم ولكن من وجهة أخرى وهى تقوية الحياة العقلية والأدبية أعنى معرفة حقيقة كل شيء واستخدام النافع والعمل بالأصلح والتماس أسباب السعادة

اختلاف طريقة العلم — الظواهر الفسولوجية تعرف بالحواس الخمس (وهى البصر والسمع والذوق والشم واللمس) والاستعانة بالآلات الصناعية المضاعفة لقوتها المخترعة لهذا الغرض أما الظواهر النفسية فلا تتناولها المشاعر الخمس ولا تتمثل اعلم الحس فتقع تحت الآلات الصناعية مهما كانت قوتها وإنما تعرف بالوجدان وهو شعور نفسى تدرك به النفس حالاتها وتوصله اليها بلا واسطة وتسمى هذه بظواهر الوجدان أو الظواهر الوجدانية

تنبيه — للوجدان معنيان فهو فى علم النفس عرفان مصدره النفس ذاتها والحالات الباطنة بلا واسطة

وفى علم الأدب تمييز الخير والشر والحق والباطل فيطلقون على الأول الوجدان وعلى الثانى السريرة أو الضمير كما سيجبى بعد

ترتيب الحالات النفسية — هذه الحالات كثيرة ومختلفة ولكن يظهر للمتأمل أنها متميزة ومستقلة بعضها عن بعض اذا لاحظنا وجوه التشابه بينها غالباً وعلى ذلك قسمها العلماء كما يأتى :

(١) تأثير الجوع أو الظمأ والبرودة أو الحرارة والحزن من الاخفاق والسرور من النجاح وما الى ذلك كلها ظواهر مختلفة بلا شك ولكن تجمعها صفة واحدة هى التأثير فى الانسان (لاذا كان أو مؤلماً)

ومن ذلك يجمعونها طائفة واحدة ويسمونها بالأفعال الخاصة بالخاصية
(٢) كذا الفكر والذكر والحكم على الشيء والقياس العقلي وغيرها
من الطبائع المختلفة لكنها توصل الانسان الى معارف شتى يجمعوها طائفة
واحدة ويسمونها بالأفعال المعقاة

(٣) الإرادة والأفعال التي تستعين بها النفس على تنفيذ شهواتها
داخلاً وخارجاً جميعها مختلفة ولكنها لم تخرج عن كونها ارادة وعزماً فسموها
بأفعال الإرادة

ومما تقدم يرى المتأمل ان أفعال النفس لا تخرج عن هذه الأقسام
الثلاثة ولا يمكن وضعها في تقسيم آخر
كل ما تقدم من البيان والتقسيم والتعاريف لم يكن الا مقدمات
لعلم النفس . بقى علينا الكلام على هذه الأفعال بردها الى أسبابها وهي
ملكات النفس فنقول :

(٢) ملكات النفس

للملكة معنيان أعم وأخص

فالملكة بمعناها الأعم هي قوة حسية او معنوية في الكائنات
تسير بحكمها على نمط خاص أو تنتج أثراً ما أو تتحول قليلاً أو كثيراً
بتأثير غيرها فيها

وبمعناها الأخص هي قوة في النفس البشرية تجعلها تسير مختارة
أى بحرية وإدراك

أما تلك القوة التي في الكائنات الأخرى فتجعلها تحول قليلاً أو كثيراً بتأثير المؤثرات الخارجية عنها فتسمى (*هامة*) وهذه توجد في الكائنات غير العضوية

والقوة التي تجعلها تسير سيراً وجدانياً تسمى (*وظيفة*) وهذه توجد في الكائنات العضوية فترى كل عضو من أعضائها يؤدي وظيفته من تلقاء نفسه بسر أودعه الخالق فيه سبحانه جل شأنه

تبيان ملكات النفس — ملكات النفس حكمها حكم باقي عوامل الكون نستبينها بآثارها أعني بحالاتها وظواهرها التي تتولد عنها — وقد سبق أنما قسمناها الى ثلاثة أقسام وبما أن لكل ظاهرة سبباً خاصاً وللظواهر المختلفة أسباب مختلفة أيضاً فيكون للنفس ثلاث ملكات وهي (*الحساسة*) مصدر الأفعال الخاصة بها (*والقوة الممركة*) مصدر الأفعال العقلية (*والارادة*) مصدر أفعال الارادة والحرية والاختيار

قد يزعم بعضهم أن الحساسة ليست من الملكات الأصلية لأنها لم تكن إلا خاصة بسيطة . ولكن يرد عليهم أن الارادة تحكم في الحساسة الى حد محدود وبناء على ذلك لا يصح اعتبارها خاصة أو مجرد وظيفة عضوية . وقال آخرون بوجود ملكة رابعة سموها (*الملكة المحركة*) واليها ترجع جميع الحركات الجسمانية — على أن هذه القوة في الحقيقة ليست إلا نوعاً بسيطاً من حركة النفس التي تستخدمها لذاتها ولغيرها

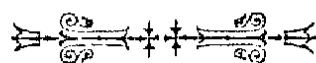
وحدة الحياة الروحية — ملكات النفس وإن كانت مختلفة لكنها غير قابلة للانفصال — لأنها لا تعمل منفردة أبداً وأقل الحوادث تجمع

بين أنواعها الثلاثة مثلاً إذا أصاب انساناً ألم شعر به طبعاً فهذه هي الحساسية
وفي الوقت نفسه يدرك أنه يتألم وهذه هي القوة المدركة ويريد أن يتخلص
من الألم وهذه الإرادة.

والنفس البشرية تعمل دائماً على طرق متنوعة كثيراً أو قليلاً وهذه
صفة أصلية في طبيعتها وليست ملكاتها إلا أشكالاً متعددة لحركتها
كالألم واللذة والتفكير والإرادة أعني أنها تعمل بطرق مختلفة

قد يتفق أحياناً أن إحدى هذه الملكات تتغلب على الأخرى
إلى درجة أنها تكاد تمحوها بالكلية ولكنها في الحقيقة موجودة بأجمعها
ومشتركة في جميع حالات النفس (كما سيجىء بعد في باب تأثير الملكات
بعضها في بعض) وذلك دليل قاطع على وحدة الحياة الروحية فينا

وملكات النفس كلها قديمة فليس لاحداها مزية القدم على الأخرى
ولكن الحساسية أول ما يبدو لدى الطفل ثم تظهر فيه القوة المدركة ثم
الإرادة ولذلك سنتكلم عليها بهذا الترتيب (١) الحساسية (الحياة الشهوانية)
(٢) القوة المدركة (الحياة العقلية) (٣) الإرادة (الحياة العاطفة) ثم نعقب
ذلك بحث خاص في الإشارات الموضوعة للحالات النفسية وهي اللغة



الباب الأول

في الحياة الشهوية

(١) الحساسية

الحساسية هي ملكة الحس بالألم وباللذة

للحساسية ست صفات لأنه إما أن تكون (١) حسية فعلاً بأن تقع أفعال الحس بلذة أو ألم (٢) أو تحويلاً باطنياً بسيطاً لدى من وقع عليه التأثير (٣) أو شخصية أى متغيرة باختلاف الأشخاص وأعمارهم وأمزجتهم وقوة بنائهم وعقولهم (٤) أو انفعالية قابلة لتأثير الأشياء الخارجية (٥) أو جبرية حيث تفقد كل حرية لها فتكون اللذة والألم خارجة عن ارادة الانسان (٦) أو تكون مصحوبة بما يعرب عن حقيقتها بحركات أو انين أو ضحك أو نحو ذلك وقد يتأثر الانسان بلذة أو الألم إما بفعل جسى أو معنوى وعليه تكون الحساسية على نوعين

حساسية مادية؛ وحساسية معنوية

والحساسية المادية مصدرها النفس والجسم معاً ومركزها النفس ولكنها لولا الجسم ما وجدت ، وهى عبارة عن كل لذة أو ألم يتولد من التأثيرات المختلفة التى تقع عليها من الظواهر المادية

والحساسية المعنوية من خصائص النفس وحدها وهى عبارة عن كل
لذة أو ألم يتولد فى أنفسنا بفعل غير محسوس مصدره أفكارنا وعواطفنا
(كالتخيل والفكر والذكر)

وأصل العواطف القلب وليس المراد بالقلب ذلك الجهاز الخاص
بالدورة الدموية وإنما القلب هنا معناه الطبيعة البشرية ، والقلب فى جميع
اللغات يرادف العاطفة فيقولون القلب والعقل أعنى العواطف والعقل .
وتثقيف العقل يسمى تعالماً وتهذيب القلب يسمى تربية

فالكرامة الشخصية والمزاحة والكبرياء والشجاعة الأدبية وحب
العائلة والوطن والاخلاص والبطولة وبالجملة كل ظواهر الحساسية الأدبية
كالميل والانفعالات والشهوات كل ذلك متعلق بالقلب
والقلب هو محرك الحياة البشرية . والعقل منظم هذه الحركة والقلب
متى اتحد مع العقل أورى زناد الذهن وأنعمش القول والفعل وأشعل نار
الشجاعة وأخذ الأناية وزان الرجال

الانفعالات الصادرة عن الحساسية

الانفعالات أو أحوال الحساسية الظاهرية هى اللذة والألم
والاحساس والعواطف

(١) اللذة والألم — اللذة والألم هما شيئان لا تخلو منهما الحساسية
على اختلاف طرائقها

ليس لنا طريق نعرف منه هاتين الظاهرتين عند الاختبار والتجربة

ويتعذر تعريفهما لأن تعريف الشيء عبارة عن تحليل عناصره وكل من اللذة والألم حادث بسيط لا يتحال، وكل ما لا يمكن تحليله لا يمكن تعريفه أى بحدده ولكن يمكننا بيان صفاتهما وتعيين علمهما

علة اللذة والألم — اللذة هى ثمرة ارتياح النفس من حركتها واتفاق تلك الحركة مع غاياتنا الطبيعية فاذا عرض لتلك الحركة ما يعوقها أو يبالغ فى حركتها أو يضلها نشأ ما يسمى ألماً

وللذة والألم أهمية كبرى فى الحياة البشرية

فمن اللذة الحسية والألم نعرف حالة أجسامنا ان كانت صحيحة أم بها علة من العلل ونعرف بها مناسبة أو عدم مناسبة المأكل والملبس والمسكن والهواء الذى نستنشقه والأشياء التى نستخدمها وكل من الألم المعنوى واللذة المعنوية يزيد فى تفهمنا ما يجب علينا بمعنى أن اللذة الأدبية تقربنا من الفضيلة والألم الأدبي يبعدنا عن الرذيلة ويعلمنا الانتباه والحذر والتبصر لأن اللذة الأدبية هى فاتحة الاحسان الذى توليه الفضيلة أهلها والجميل الذى تسوقه اليهم. والألم الأدبي هو نذير القصاص الذى يصيب أهل الرذيلة وذوى الهنات

الفرق بين لذة الجسم ولذة النفس — قلنا أن اللذة والألم من الحساسة ولكن بين لذة الجسم ولذة النفس فروق ثلاثة :

(١) لذة الجسم واسطة ولذة النفس غاية لأن اللذة التى يشعر بها الانسان حين يأكل أو يستريح أو يترىض انما هى وسيلة للحصول على

حفظ الجسم . أما اللذة التي تحصل للانسان من التعلم والمطالعة فهي وان كانت وسيلة لرقى الانسان الا انها غاية الغايات

(٢) لذة الجسم اذا خرجت عن الحد اللائق بها أو الغرض الذي وضعت من أجله كانت ممقوتة مهينة لصاحبها لأنها لم تكن لذة لذاتها ولكن لغيرها فاذا ما جعلها الانسان غايته انتقلت به الى طبيعة أدنى من طبيعته

أما لذة النفس التي هي لذة الفضيلة والعلم والصدقة والاخلاص وغيرها فهي ممدوحة وشريفة لأنها موصلة الى الكمال

(٣) لذة الجسم زائلة أما لذة النفس فباقية بقاء الحياة اذا فلذتنا الجسم والنفس يجب أن تكونا بنظام مرتب معقول يهيئهما لحفظ طبيعتنا البشرية وراقيها

(٢) الاحساس

اذا سمعت صوتاً موسيقياً فان العلم يقول لك ان سبب سماعك لهذا الصوت هو التوجات الهوائية التي تنقله بواسطة الأعصاب الى المخ فتحدث تنويعاً خاصاً في هذا العضو يسمونه « تأثيراً » وهو ظاهرة فسلوجية . وما يدركه الوجدان مباشرة من هذه الظاهرة هو الحس أو الاحساس

فالاحساس هو كل انفعال نفساني لاذ أو مؤلم يحدث عقب تأثير عضوى

ولما كان هذا التعريف قاصراً في ذاته لأنه يعرف المادة العارضة
للحس دون طبيعته (لأن طبيعة الحس لم يتوصل الى معرفتها) بحثوا في
صفاتها وعلامها طبقاً لما سبق تقريره من أن كل حادث بسيط لا يمكن
تحليله لا يمكن تعريفه

المشاعر — وأعضاؤها — وقوتها الطبيعية

يجب التفريق دائماً بين المشاعر وأعضائها — لأن المشاعر هي
قوى خاصة للنفس أما أعضاؤها فهي آلات مادية توصل ما بين العالم
الخارجي والنفس

والمشاعر خمسة — البصر والسمع والذوق والشم واللمس
عضو البصر العينان وأعصابهما وبواسطتهما يدرك الضوء والألوان
والسمع الأذان وأعصابهما وبها تُدرك الاهتزازات الصوتية
والذوق الغشاء المخاطي للسان والعصب اللساني وبهما يُدرك طعم
المأكولات وغيرها

والشم الغشاء المخاطي للحفر الأنفية وأعصاب الشم وبها تُدرك
الروائح وسائر المشمومات
واللمس أعصاب خاصة منتشرة على سطح الجسم وعلى الخصوص
باطن اليدين وأطراف الأصابع وبها تُدرك الحرارة والرطوبة والصلابة
والرخاوة وغيرها

مما تقدم يعلم أن حقيقة عضو الاحساس هو المجموع العصبي أعني
الدماغ (المخ والمخيخ والنخاع المستطيل) والنخاع الشوكي والأعصاب .

والأعصاب تخرج من أسفل الدماغ أو النخاع الشوكي وتنتشر في جميع أجزاء الجسم وهي على ثلاثة أنواع من حيث وظيفتها : قسم منها للحركة وقسم للحس وقسم للحركة والحس معاً

القسم الأول يسمى بالأعصاب المحركة لأنها تنقل الحركة من الداخل الى الخارج والثاني بالأعصاب الحساسة لنقلها الحس من الخارج الى الداخل والثالث بالأعصاب المشتركة مثل العصب اللساني

قال سبنسر ان الحواس الأربعة الأولى ليست الا تنوعات متفرعة من الأخيرة وهي اللمس لأن كل احساس ينشأ في الواقع من تنبيه الأعصاب والاحتكاك بها . وفي الحقيقة أن المشاعر لها أصل بعيد وهو « الحاسة الجبروتية » واحدة بأصل خلقها ثم تفرعت وانتشرت وأصبح لكل حاسة حيز مخصوص فأصبحت تؤدي وظيفة خاصة بها عند التأثيرات الخارجية

شروط الاحساس :

أولاً — **تأثير يقع على عضو الاحساس** — مهما كان تركيب عضو الاحساس مضاعفاً فإنه مكوّن من ألياف عصبية تنتهي بأجسام صغيرة جداً يختلف تركيبها باختلاف الحواس . مثلاً ترى ما يخص عصب السمع خلايا وما يخص عصب البصر أشكال مخروطية واسطوانية وهكذا . وهذه الأجسام الصغيرة لا تتأثر الا بتنبيه مخصوص وبدرجة مخصوصة بحيث يمكن القول بأن كل جسم أو كل ليفة من هذه الألياف معدة لتنبيه واحد معين

وقد قال بعضهم ان كل ليفة عصبية من الشبكية (عضو البصر) مكون من ثلاث ألياف عنصرية. هذه الألياف اذا وقع عليها شعاع ضوئي واحد يتأثر كل منها تأثراً خاصاً (أى مخالفة لبعضها). ويتولد عنها العناصر الثلاثة الأولية لحاسة البصر وهى الأحمر والبنفسجى والأخضر

ثانياً — توصيل الأعصاب لهذا التأثير — التنبيه الواقع على أطراف الأعصاب شرط عادى للاحساس. ومعنى عادى ان التنبيه يقع عادة على أطراف الأعصاب. ولكن ليس هناك ما يمنع وقوعه على أى جزء من أجزائها ويتم بذلك عملها كما يقع على أطرافها

ثالثاً — انما هو محض متى تأثر العصب بهذا التنبيه نقله الى المراكز العصبية قالوا بسرعة ثلاثين متراً فى الثانية واختلف العلماء فى طبيعة نقل العصب للتنبيه. هل هو كفعل الكهرباء أو هو تفاعل كىماوى يحصل بسبب هذا التنبيه على عناصر الأعصاب المختلفة ؟ كل ذلك تحت البحث اليوم

وهناك مسألة أخرى فيما يخص طبيعة العصب — هل كل عصب من الأعصاب يتأثر بكل تنبيه يقع عليه أو أنه فطر على أن لا ينقل إلا تنبيهاً خاصاً به ؟ قال بعضهم بالأول وقال آخرون بالثانى والرأى الأول هو المعول عليه عند جمهور العلماء اليوم : أى ان الأعصاب تنقل ما يقع عليها من التنبيهات أياً كانت نوعها وتنقلها الى المراكز العصبية وهذه المراكز هى التى فطرت مخصصة لكل تنبيه مركز خاص

رابعاً — تحول أو انفعال فى النفس — ان مجرد وصول التأثير الى

المنح وهو مركز المجموع العصبى يظهر من النفس الانفعال أو الحس وهو
الاحساس الحقيقى

فالأول من هذه الأمور الأربعة فعل ماضى والثانى والثالث أفعال
فسلوجية والرابع ظاهرة نفسية

عناصر الاحساس — للاحساس عنصران حسى ومعنوى بمعنى ان
الانسان اذا أكل تفاحة أو إستم وردة فانه يشعر فى الحال باحساس ثم يميز
هذا الاحساس — فالأول يسمى حسياً لأنه تأثير ماضى يقع علينا فيكون
مقبولاً أو غير مقبول والثانى يسمى معنوياً لأنه حالة وجدانية داخلية
يميز بها الانسان بمساعدة القوة المدركة نوع المأكول ودرجة نضجه أو
رائحة المشموم ونوعه وفصيلته الى غير ذلك

تنبيه — العنصر الحسى للاحساس والعنصر المعنوى قوتاهما متعاكستان
فكلما كان الأول قوياً كان الثانى ضعيفاً لأن حدة الانفعال تضر بسلامة
التمييز وبالعكس

صفات الاحساس — لكل احساس أربعة أمور

- (١) مدة طويلة أو قصيرة — لأنه لا يظهر الاحساس ولا ينعدم
الآن بمضى وقت طويل أو قصير
- (٢) شدة متوسطة — لأن الذهن لا يدرك التأثيرات الضعيفة جداً
ولا القوية جداً

(٣) طبيعة خاصة أعنى أنه يكون لاذاً أو مؤلماً

(٤) صفة أو جنسية بمعنى أن يكون الشئ قابلاً للشم أو الذوق أو

اللمس أو الرؤية لأن صفة الاحساس تتعلق بالحاسة التي تولدها
ترتيب الاحساس — الاحساس على نوعين باطنى وظاهرى حسب
علله وأسبابه

فالاحساس الباطنى يتولد من تحويل مجهول الأصل غالباً فى تركيب
الجسم وعلى الخصوص فى الجهازين الهضمى والتنفسى من تعب أو جوع
أو عطش أو حمى وغير ذلك

وفى مثل هذا الاحساس يكون العنصر المعنوى مفقوداً ولذلك
نجهل كثيراً من حقيقة وظائف الأعضاء الباطنية والأعضاء الحيوية
والاحساس الظاهرى يتولد من التأثيرات المادية فى أعضاء الحواس وتختلف
أنواعها باختلاف الحواس نفسها كما قدمنا

هل مدرجات الحواس صور صادقة من الأشياء الخارجية ؟ الحس
ليس بصورة صادقة للأشياء لأنه فى ذاته لا يمثل لنا إلا حالات الوجدان
أى تنوعات عاملية نعتقد أنها أموراً خارجية بصفاتها الحقيقية ولقد تظهر
غرابة القول بأن الألوان والحرارة ليست إلا قائمة بنا وقارة فى ذواتنا.
ولكن ذلك هو الحقيقة . وقد قسم الفلاسفة من قديم خواص الاجسام
الى قسمين خواص أولية كالثقل والمقاومة والامتداد الخ وخواص ثانوية
مثل اللون والحرارة والرائحة الخ ومن المحقق أن الخواص الثانوية هى
محض حالات نفسية : فمثلاً اللون لا صق بعضو الأبصار حتى ان تغييراً
بسيطاً فى هذا العضو كاف لا بدال اللون بلون آخر . كذلك القول فى
الحرارة — اغمر يدك اليمنى فى ماء بارد واليسرى فى ماء ساخن ثم ضعهما

كلاهما فى ماء فاتر فتشعر يدك اليمى بأن الماء ساخن واليسرى بأنه بارد
ولقد أثبت العلم نفسه بأن لا لون ولا صوت خارجاً عنا وان كل
ذلك عبارة عن حركة فى إثير الفضاء ليس إلا

وكذلك الخواص الأولية للأجسام ليست حقيقة أيضاً بل ذلك
وهم محض ؛ لأن الثقل والمقاومة يختلفان باختلاف القوى العضلية فحجر
من الأحجار قد يكون ثقيلًا بالنسبة لعلام أو مريض ولا يكون كذلك
بالنسبة لرجل قوى أو صحيح البنية . فالأشياء فى ذاتها ليس لها طعم ولا
رائحة ولا حرارة ولا هى مضيئة ولا ذات أصوات مما نراه أو نسمعه . كل هذه
الخواص آتية من الوجدان . ولذلك قالوا ان العالم وليد الذهن ومن مادته
اضافية الاحساس — مما تقدم نخرج بنتيجة أخرى . لا شك ان
ما أشعر به أنا من الحس هو هو بالنسبة لى ولكل انسان غيرى فهو
إذا بالنسبة لعالم الانسان واحد أى انه من هذه الوجهة احساس مطلق
ولكن كل كائن آخر بنيته وتركيب قواه يخالف ما عليه الكائن البشرى
لا يحصل له نفس الاحساس ولو اجتمعت له الشرائط عينها والوسط
بعينه . ولو تغيرت بنية الانسان لتغير معها الحس اذاً يكون الحس اضافياً
(Relative)

قلنا اضافياً لأن الحس يتعلق بحقائق الأشياء والتركيب العضوى
للنوع معاً . فالحيوان ذو الجلد الصفيق يخالف احساسه احساس الحيوان
ذى الجلد الرقيق الطرى . وكذلك بالنسبة لبنية الأفراد فان من مسه الرمى

قد لا يميز بعض الألوان وكل ذلك عوارض بيولوجية . وفي بعض الحيات يظهر الحس شديداً جداً . وقد يتغير الحس مع تهيج العصب . فإذا وقعت تأثيرات مختلفة على عصب الأبصار ولدت دائماً الحس بالضوء . ونفس هذا التأثير الواقع على العين وتولدت عنه ظواهر الضوء . يُولد الصوت بتأثيره على الاذن ويحدث وخزاً في الجسم بتأثيره على الجلد . وهكذا الحس أيضاً اضافي بالنسبة لحالة العصب المتهيج . فالسكر يحتاج لزيادة المقدار الكؤولى لكي يحدد الحس وإذا أطال الانسان نظره في ورقة حمراء ثم حوّلها فجأة الى شىء أبيض ظهر له في لون أخضر

وبالجملة لو كانت تركيب الوجدان والحواس غيره اليوم لكانت المدركات كلها غيرها كذلك وربما كانت تبدو في أشكال لم تخطر على البال لأى مفكر في هذا الوجود . ولما كانت المدركات بالحس مختلطة بالوجدان ويتعذر فصلها بعضها عن بعض فليس وراء ذلك إلا العلم الواقعى الذى هو كفيلاً في تمييز عناصر هذه المدركات المتقلبة العاملة وردها الى عناصر ثابتة عامة واقعية

(٣) العواطف

العواطف هي كل انفعال نفسانى لا ذأؤ مؤلم يحدث من فعل عقلى أو أدبى — وهذه العواطف تنحصر فى الفرح أو الحزن أنواع العواطف المختلفة — هذه الأنواع عديدة منها ما هو عقلى أو

أدبيّ أو دينيّ أو اجتماعيّ أو جماليّ (خاص بالفنون الجميلة) — ولكن
أهمها العواطف الروحية والعواطف الاخلاقية

فالعاطفة الروحية ما تولدت من الحصول على الحقيقة والجمال أعنى
السرور الذى يتولى الانسان من رؤية الشيء الجميل أو العثور على الحقائق
وكذا الحزن الحاصل من رؤية الشنيع أو الفظيع أو عدم التهدى الى
المطلوب ، كل ذلك أسباب للعواطف الروحية

والعاطفة الاخلاقية ما تولدت من فعل الخير أو الواجب كأثر السرور
فى النفس عقب فعل الجميل أو ذكرى الأثر الجليل وحزنها اذا ذكرت
فعلًا شائنًا أو خطأ كبيرًا

الفرق بين الإحساس والعواطف — وان كانت هاتان الخلتان مصدرهما
واحدًا وهو الحس وكلتا هما من الظواهر الحسية والحالات الوجدانية فان
بينهما اختلافًا تامًا

فالإحساس يحصل من تأثير عضوى دون أى فعل عقلى كاللذة
الحاصلة من الأكل أو الشرب أو الألم من الجوع أو العطش
والعاطفة على العكس منشأها فعل عقلى أو أدبيّ كفكرة تعرض
أو ذكرى تمر أو غرض يتم أو غير ذلك

والاحساس موضعى أى له موضع معين من الجسم الانسانى فآلم
الجرح لا يكون فى غير مكان الجرح وآلم الكرىه من الروائح لا يكون
فى غير الحفر الأنفية وآلم الجوع لا يكون الا فى المعدة وهلم جرا

أما العاطفة كالغيرة والحماس والحب والبغض وغيرها فلا محل لها من
الجسم بل تجدها ملابسة للنفس بأسرها

والاحساس يضعف بالتكرار فاليد تعتمد البرودة بدوام ملاسة
الأجسام الباردة — وحاسة الشم تضعف باستمرار شم الروائح العطرية
أو الكريهة

والعاطفة بالعكس تزداد نماءً وقوة بالمران والعمل فالتعلق بالحقائق
والبحث وراءها ورأها ومحبة العدل وعشق الجمال والجلال كل ذلك يوسع في
مداها ويمد في أطرافها حتى تبلغ الكمال

(تنبيه) الاحساس مشترك بين الانسان والحيوان الأعجم أما
العاطفة فخاصة بالانسان الذي يختص دون سواه بالانفعالات العقلية
والأدبية — غير ان للحيوان بعض احساسات بسيطة مثل الفرح والحزن
والحب والبغض لأن فيه معرفة من طريق الحس

فائدة الاحساس والعواطف — أما الاحساس الباطني ففائدته حفظ
الحياة الجسمانية لأن به نعرف ما يلزم لحفظ صحتنا وما يضر بها
والاحساس الظاهري — نعرف به الأشياء الخارجية وهو يوقظ فينا
القوى العقلية فتبحث فيها للوقوف على حقائقها

والعواطف لها غاية أسمى وهي رقي الحياة العقلية والأدبية
أما من الوجهة العقلية فانها توقفنا على حالة العقل فنسعى لما فيه رقينا
العقلي وتجنب ما فيه تأخير — فمثلاً النجاح في اكتشاف حقيقة من
الحقائق يولد فينا لذة وارتياحاً يبعثنا على البحث عن غيرها — أما من

الوجهة الأدبية فإن هذه المواطف تعاملنا ما يجب أن نفعله أو نتباعد عنه حتى نصل الى المثل الأعلى من الكمال ؛ فوخز الضمير هو نذير القصاص وسوء العقبي لأهل الرذيلة ، والسرور بشير السعادة لأهل الفضيلة والدافع للانسان على النهوض بالعمل المبرور

ميول الحساسة

العلل الخفية للملكة الحس هي الميول والشهوات

(١) الميول

الميل هو هوى طبيعي غريزي في النفس يُقَرِّبنا من الأشياء التي تتفق مع طبيعتنا البشرية والميل في الحقيقة أمر خارج عن ارادتنا وتأثيرنا فيه تأثير بالواسطة

والميول على أنواع كثيرة بحسب ما تتعلق بها طبيعتنا وعلاقتنا مع الغير — ولكن يقسمها العلماء عادة الى ثلاثة أنواع ميول شخصية وميول اجتماعية وميول عالية

الميول الشخصية — هذه ميول تتعلق بالانسان بأكمله عقلاً وجسماً والميل المادى أو الشهية في الانسان هي احساس عضوى يحملنا على البحث عما يحفظ حياتنا الجسمية أو يرقى حالتها المادية وغالبها ذات مواعيد محدودة تقريباً مثل الحاجة الى الطعام أو الشراب أو النوم

والشهوة إما طبيعية او خيالية — فالأولى مثل حاجة الانسان الى الأكل والنوم وغيرهما من ضروريات التركيب البشرى والثانية مثل الميل

الى التدخين او المسكرات وغيرها من مقتضيات العادة فقط
والشهية الطبيعية يجب ان تكون بنظام و تيب حتى لا تخرج عن
الحد المعقول اللائق بمنزلتها من الحياة البشرية
وأما الشهية الخيالية — ففي الغالب مضرة وغير ضرورية لنمو
الجسم وحفظه

والميل الخاص بشخص الانسان إما ان يكون لفائدة العقل او لفائدة
العقل والجسم معاً ونحن نفضل طبعاً كل ما من شأنه ان يرقى حالتنا
ويجعلنا في نعيم دائم : كالرفاهية والغنى والاستقلال وعلامات الشرف
والرقى الطبيعي والعقلي والأدبي

الميل الاجتماعية — هذه الميول التي تقربنا من أمثالنا بسبب
الفوائد التي تعود علينا من المجتمع الانساني اى من الأشخاص الذين
نرتبط بهم وهى :

(١) مدنية الانسان — أعنى انه مدنى بالطبع اى لا يعيش بغير
الاحتكاك بأمثاله والاتصاق بهم فيداولهم المنفعة والمحبة والأفكار والشعور
والالفة والاحترام

(٢) الميل الأهلية او الطائفية — مثل محبة الأهل ومحبة الوطن
والأخذ برأى الجماعة — وورق هذه الميول يولد الحنان والعطف والاحسان
والاخلاص وعمل الخير والاحترام والتقليد

الميل العالية — هى العواطف الروحية والاخلاقية والدينية والخاصة
بالفنون الجميلة مثل حب معرفة الحقيقة وهو مصدر العلوم — وحب

الجمال وهو مصدر الفنون وحب الخير او الإيثار وهو مصدر الفضيلة
وحب المولى تعالى وهو مصدر الدين
وغاية الميول العالية التى هى أشرف الميول على الإطلاق رفعة الانسان
وسعادة الحياة

(٢) الشهوات

الشهوات هى انفعالات قوية او ميول حادة للحساسية
كل شهوة اصلها ميل وكل ميل سواء أكان مادياً او عقلياً او أدبياً
متى زاد عن حده أصبح شهوة وليس كل ميل ولو زاد عن حده فاسداً
الميول القوية الموجهة نحو الخير والجمال والحقيقة كلها ميول حسنة
كالميل نحو تعلم العلم او الاخلاص للوطن او محبة الأهل او نحوها
الميول التى تدفع الانسان عن الواجب هى ميول ممقوتة وأهلها ازرياء
وذلك مثل البخل والكبر والشراسة والحسد

طبيعة الشهوة — شبه بعضهم الشهوة بالنسبة للقوى النفسية بالمرض
بالنسبة للجسم والجنون للعقل أعنى انها اضطراب فى الحياة الروحية
وقال آخر ان الشهوة كالانتباه فى القوة المدركة بمعنى ان الانتباه
هو توجه الذهن كله الى غرض واحد كذلك فى الشهوة . فان الحياة
الشهوية بدلاً من ان تتوزع على الميول المختلفة تتحول كلها الى نقطة واحدة
الشهوات المرذولة — هذه الشهوات على أنحاء :

(١) الشهوات الحادة — من صفاتها اضطراب حكم الانسان على

الشيء الواقع تحت تأثيرها واستعباد الإرادة فلا تكون حرة مختارة في عملها فهي بهاتين الصفتين أكبر درجات اختلال الشعور

(٢) الشهوات العمياء — وهي الشهوات التي تعمي صاحبها عن نتائج عمله فلا يرى حسناً إلا إرضاء شهوته

(٣) الشهوات المانعة — وهي التي تطفئ في صاحبها كل ميل آخر وتزيل منه كل فكرة في غيرها مثل شهوة المقامر أو المدمن ونحوهما

(٤) حب الذات أو الأنانية — هو شهوة متى تملكك انساناً أنسته حق الغير وكان غرضه الوحيد التمتع بكل حق دون سواء وإرضاء شخصه غضب الآخرون أو رضوا متاعاً وقتياً على غير قاعدة وتسمى أيضاً بالأثرة وعلى الشهوات المردولة التي تفسد الميول الغريزية للحساسية وتقلبها الى شهوات مردولة بعضها ظاهر وبعضها خفي

العلل الظاهرة — (١) الوراثة والبيئة التي يعيش فيها الانسان ودرجة الثروة والوسط الاجتماعي والظروف (٢) العمر ونظام الحياة والمزاج وبعض الأمراض (٣) وعلى الأخص التربية والدروس وكتب المطالعات والقراءة وهذه أهمها لأن تأثير الخطابات والأفعال التي تصدر من رجال الأفكار الحماسية عظيم حتى في نفوس أهل الدعة والسكون وبالعكس فان النفوس المطمئنة الهادئة توحى الى غيرها الطمأنينة والأناة ولذلك قالوا ان الرجل في الجماعة غيره منفرداً

العلل الخفية — (١) التخيل الذي يصور للانسان بأوهامه الخداعة الحسن رديئاً والردى حسناً فمثلاً في ساعة الغضب يخرج التخيل عن

حده مبعداً عنه كل صورة تلطف من حدثه مقرباً منه كل صورة تزيد في اضطرابه وتدفعه الى هيجانه (٢) الإرادة سواء بتركها تعمل فلا يكبح جماحها أو تكون تلك الإرادة معينة للشهوة في الحصول على رغباتها عاملة على مرضاتها

قال الشهير بوسويه — ان أصل الشهوة الحب لأن الانسان لا يكره شيئاً الا اذا أحب شيئاً آخر بمعنى ان كراهة المرض سببها حب الصحة والسلامة والبغض الذي تظهره لشخص علمته الاعتقاد بأنه الحائل دون ما تشتهييه وهكذا

ترتيب الشهوات — لما كانت الشهوات ميولاً متطرفة وقد سبق أن قسمناها الى ثلاثة أنواع فالشهووات أيضاً على ثلاثة أنحاء

(١) شهوات شخصية — هذه الشهوات بعضها مادي يتولد من الشهية ، وهذه تختص بالجسم ، وبعضها أدبي منشؤه الميل ، وتختص بالنفس أو بالجسم والنفس معاً

فمثلاً الشراهة في الأكل والأدمان في الشراب أصلهما الحاجة المفرطة للأكل والشرب

والكسل من الحاجة المفرطة للراحة وحب الذات والجهن والكبر والغرور من الإفراط في حب الذات

وكذا حب الاستقلال من الإفراط في محبة الحرية والطمع من الرغبة المفرطة في نيل العطايا والامتيازات والرتب والبخل والحرص من الإفراط في حب الملكية وهكذا

(٢) الشهوات الاجتماعية — وهى إما ذات مرئى سىء كالحسد والغيرة والبغض والنفور من الناس والغضب والانتقام أو ذات قصد حسن مثل الافراط فى حب الوطن والميول السياسية وتحويل رأى الجماعة الى حزب من الاحزاب وغيرها

(٣) الشهوات العالية — هذه إما عقلية أو أدبية أو دينية كما قلنا فى الميول حسب مذهبها الأسمى ان كان للخير أو الجمال أو الحقائق العامة أو المذاهب الدينية كالتعصب الدينى والافراط فى الغيرة الكاذبة . والتحمس للمذاهب الجديدة وغيرها

تأثير الشهوات فى الحياة — الشهوات هى قوى عمياء تسير بصاحبها على غير هدى لا يهتمها حق أو باطل نظام أو اختلال — وطالما كانت سبباً لمصائب كبيرة وأحداث جلى وجنایات فظيعة لأنها تذهب بصواب الحكم وتضل الفكر وتقهر الإرادة

ولكن اذا سلكت الشهوات طريقها المثلى فوجهت تلك الميول الحادة لدفع ضرر بين أو تحقيق خير محقق كانت سبباً من أسباب الرقى العظيم — فان جميع الرجال العظام الذين جادت بهم الأيام من رجال الشهوات العالية

منشأ العواطف — اذا نظرنا فى صنوف العواطف المتقدمة نظرة عامة رأينا من بينها طائفة من العواطف المختلفة خالصة بأصل الفطرة . ولكن (روشفوكلت) أنكر وجود عواطف خالصة (أى خالية من

الأناية والغاية) وأنكر فلاسفة الانكليز وجود هذه العواطف بأصل الفطرة

فقد زعم (روشفوكلت) ان جميع عواطفنا يداخلها الأناية ، وقال ان المصلحة هي الباعث لكل أفعالنا . فرد عليه بعضهم بأن هذه الدعوى تسيء الى الانسانية وتنزل من قدر الطبيعة البشرية . وفي الواقع ان هذه الدعوى ليست مطلقة على ما يظهر بادىء بدء لأن روشفوكلت نفسه قد أتى في كلامه بكثير مما يلطف من قسوته على الانسانية . ومع كل فلو فرضنا ان الانسانية الى زمن ما لم تكن تعرف حق المعرفة بعض العواطف الشريفة فهل لنا أن نتزع من ذلك انها لا تعرفها أبداً ؟ أما المذهب الانكليزي فيقول ان حقيقة الميول الخالصة لا شك فيها الآن غير ان هذه العواطف تكونت بالتدريج أى مع الوقت وليست هي من المدركات الطبيعية . ومنشأها الأناية . لأن الانسان أحب غيره لحبه لذاته ثم نسي مع الزمن هذه الأناية وأحب بنى جنسه لذاتهم . كذلك القول فى الميول العالية . فان الانسان بدأ يتظاهر بها ليتوسل بها الى نيل أغراضه وهى السعادة . ثم نسيها رويداً رويداً حتى صارت فيه جبلة وعرفت باسم النزاهة



الباب الثاني

في الحياة العقلية

القوة المدركة

القوة المدركة بمعناها العام هي ملكة العلم والتصور . ومعناها الخاص هي ملكة العلم بالكليات وبالمعاني المجردة وتسمى أيضاً ادراكاً أو عقلاً لإدراكها الأشياء وتعقلها إياها وإخراجها المجهول من المعلوم بالقياس العقلي ومن حيث معناها الخاص لا يشترك الحيوان فيها مع الإنسان .

فليس للحيوان إلا معرفة الأشياء المادية بمساعدة الحواس

من الشطط أن ندعى للعقل احتكار المعرفة وإن كانت المعرفة الحقيقية ما جاءت بواسطة الأفكار أو التصورات الفكرية للأشياء : فتصور المحسوس هو حضور صورة خيالية له في الذهن تماثله شكلاً ولوناً . وتصور المعنوي إدراكه وتصوره في معناه لا في شكله حيث لا شكل ولا لون له . مثلاً مثلث أو إنسان يمكنك تصورهما على الوجهين ولكن معنى حقيقة أو فضيلة أو روح ونحوها لا يمكن تصورهما إلا على الوجه الثاني حيث لم يكن لهما صور في الخارج والعلم الحقيقي لا يكون بغير التصور التام

قوى الإدراك — للإدراك قوى ثلاث مختلفة لتحصيل المعلومات وحفظها وترتيبها وسنتكلم عن كل قوة من هذه القوى الثلاث ثم نعقب ذلك بدراسة النظريات المختلفة التي قيلت عن أصول الأفكار

الفصل الأول

قوة التحصيل

للعلم مواضع ثلاثة : عالم الأجسام . والنفس . والحقائق . يدرك الانسان الحقائق المادية بالمشاعر . ويسمى ذلك الإدراك الظاهري أو الحس الظاهر ويدرك الحقائق النفسانية بالوجدان . وهذا هو الإدراك الباطني أو الحس الباطن أما الحقائق التي لا تقع تحت المشاعر ولا الوجدان فنذكرها بالعقل وهي حقائق ما فوق الحس كالنفس وخالق الوجود

(١) الإدراك الظاهري

الإدراك الظاهري هو ملكة يعرف بها وجود الأشياء الخارجية وأحوالها عن طريق الحس الطبيعي

والإدراك هنا معناه تبيان الحس وتعرفه وانتزاعه من الوجدان للحصول على معرفة خاصة بشيء خارجي . فالحس هو مادة المعرفة ثم نحن نستقبل الحس ونمتحنه بالإدراك أي بالعقل وهو صورة المعرفة

إذا فالإدراك الظاهري يقتضي ثلاثة أمور (١) احساس (باطني أو

ظاهري) بحدّيه الحسى والمعنوى (كما قلنا) (٢) استعداد الذهن لتمييز نوع الاحساس (٣) حكم الحس بوجود الشيء المسبب للاحساس وأحواله أما الادراك الفريزى فهو الادراك الخلقى الحاصل من المشاعر الخمس بلا مساعدة شيء آخر وقبل كل تدريب أو تعليم

والادراك المكتسب هو الادراك الحاصل من احدى المشاعر بعد التجربة أو باشتراكها مع الحواس الأخرى

مثل إدراك الانسان للألحان الموسيقية وأنواعها باعتياد سماعها أو معرفة طعم بعض المشروبات بمجرد النظر الى لونها أو معرفة أنواع الغازات من رائحتها وهكذا

وبالادراك المكتسب بالمشاعر الخمس وحفظ أثره بالذاكرة واشتراك تلك المشاعر مع بعضها بالتجربة والعادة يمكن الحكم بالنظر على مواقع الأشياء وابعادها وطبيعتها وبالسَّمْع على طبائع الأصوات والنفحات وابعادها وبالتذوق على أنواع المأكولات والمشروبات وهكذا

الفروق بين المعنى والصورة — (Idée et Image) يفرق علماء النفس بين المعنى الذى يحصل عندنا للأشياء والصورة أو الشكل المادى الذى تتصوّر به هذه الأشياء فالمعرفة الحاصلة من الحواس تستحيل فى الذهن الى صور. والحاصلة من الادراك الى أفكار أو معان فالمعنى هو التصور المفهوم من الشيء فى الذهن. والصورة هى التصور المحسوس للشيء فى الذهن. أعنى ما انطبع فى الخيلة والذاكرة الحسية من مدركات الحواس مثلاً — حضور صورة المثلث فى الذهن عبارة عن تصور الصفات

الخاصة التي تحدده أعنى طول أضلاعه وانفراج زواياه ومساحته . أما حضوره بالمعنى فهو عبارة عن تصور طبيعته أو شكله أعنى أنه سطح مستو ذو ثلاثة أضلاع

وكذلك حضور صورة الانسان في الذهن عبارة عن تصور طويل أو قصيراً أبيض أو أسمر قوى البنية أو ضعيفها أما حضوره بالمعنى فهو تصور انه انسان ناطق دون تصور شيء آخر من صفاته الخاصة

والمعنى عام ، والصورة خاص ، والمعنى واحد ، أما صور الأشياء المختلفة لجنس واحد فقد تكون متباينة جداً . والمعنى يتناول الأشياء المادية والعقلية أما الصورة فلا تتناول غير الماديات . والمعنى يدل على جوهر الشيء أو على مجموع صفاته المكون منها . أما الصورة فتدل على شكله الخارجى

سلامة الادراك الطبيعى — لكي يكون العلم بالادراك الظاهرى صحيحاً يجب أن تتوافر فيه شرائط أربع

(١) أن تعمل أعضاء المشاعر فى الدائرة المناسبة لها ضمن حدود قوتها الطبيعية . لأن البرج أو الصرح المربع الزوايا يظهر للعين مستديراً أو اسطوانياً من بعيد اذا كانت المسافة تزيد على مدى قوة البصر

(٢) أن تكون أعضاء المشاعر سليمة من العلل أى فى حالتها الاعتيادية فالعين الرمداء ترى الأشياء ذات ألوان مختلفة . والمحموم يشعر بمرارة فى الماء الزلال

(٣) أن لا يكون بين عضو الأَبصار والشيء المرئى حائل ولو شفافاً
فإن العصا المغمور نصفها في الماء تظهر للعين مكسورة . والأشياء المرئية
خلف حجاب شفاف ملون ترى بلونه وهكذا

(٤) أن يكون الذهن متنبهاً للاحساس الحاصل من العامل الخارجى
لأن الانسان اذا كان مشغول الفكر فإنه ينظر الى ما حوله في رائحة
النهار ولا يبصر منه شيئاً في الحقيقة لأن النفس وهى مركز كل احساس
هى التى تسمع وترى وتذوق وتلمس وتشم وما أعضاء المشاعر الا آلات
توصل بينها وبين العالم الخارجى

خطأ المشاعر — تنقل المشاعر التأثيرات الخارجية الى الذهن
(بالشروط التى يبينها) نقلاً وهذا كل ما كلفت به بأصل خلقها فاذا
وقع خطأ كان ذلك من عدم انتباه الذهن فمن الأوهام الكثيرة الحصول
انك ترى مثلاً الاشجار المغروسة على جانبي طريق ممتدة غير متساوية
الارتفاع وان أبعدھا أقصرھا وأقربھا أطولھا — وأن الطريق أوسع ما
تكون فى مكانك وأضيق ما تكون فى النهاية مع أن جميع الاشجار قد
تكون متساوية الطول والطريق يعرض واحد فهذه الأوهام لها أسباب
اخرى لا تدخل للحواس فيها (كانعكاس الضوء والمنظور من المرئيات
البعيدة والأمراض) وعلى هذا فالخطأ المنسوب للمشاعر هنا خطأ موهوم
لا حقيقة له

(ب) الإدراك الباطنى أو الوجدان^(١)

الإدراك الباطنى أو الوجدان هو عرفان مصدره النفس وحالاتها والوجدان يسمى أيضاً « ساعرة باطنية » لأنه يكشف لنا الحالات الداخلية الباطنية لحياة النفس من حس وفكر وعواطف وإرادة كما يكشف لنا الإدراك الظاهرى أحوال العالم الخارجى

والوجدان على نوعين وهما ذاتى وهما بالإنسان والأول يعرفنا كل ما يعرض لنا : ما نحس به . وما نفكر فيه وما نريده . والوجدان شرط أصلى فى جميع الحالات النفسية حتى انه ليمتثلط بها ولا يتميز عنها لأن الحالات النفسية ليست شيئاً آخر غير حالات الوجدان

والثانى أى وجدان التأمل هو مراجعة النفس لذاتها بفعل القوة المدركة لمتنح أعمالها بانتباه وحذر للوصول الى معرفة خالصة محكمة

أما الى الوجدان — هذا الوجدان تعرف منه الأمور الآتية :

أولاً — الحالات غير المادية التى تعرض لنا كالحزن والسرور واللذة والألم والشوق والأمل والفكر والذكر والعزم ونحوها

ثانياً — نعرف به وجود النفس ذاتها — فنعرف منه معنى جوهر ومعنى علة

أما كونها جوهرًا أعنى كائناً قائماً بذاته لا تتغير بتغير أعمالها وحالاتها

(١) هو الحس المشترك عند فلاسفة الشرق

فلأن القائل متى قال انى أتألم أو أتفكر كل ذلك مرجعه لأمر واحد هو نفس المتألم أو المتكلم أو المتفكر وهى واحدة لا تتعدد

اما كونها علة لغيرها فلانها مصدر الحركات النفسانية كلها

ثالثاً — ان الصفات الأصلية للإنية (le Moi) هى الوحدة والذاتية لأن الوجدان واحد أما الظواهر الوجدانية فتعدده وهو دائم وذاتيته لا تتغير أما الظواهر فهى متغيرة زائلة

ومع ذلك فان هناك حالات باطنية تبقى غير مدركة وهى جميع الأحوال التى لا تنتبه اليها أو التى يكون تأثيرها فى النفس غير كاف مثل النظر الى الشئ دون الالتفات اليه لاشتغال فكر صاحبه بأمر آخر ، وكذا سماع الأغاني دون الاصغاء لها . وكل ما يفعله الانسان أثناء نومه أو اذا عرض له جنون أو كان محمومًا

والوحدانية درجات وتختلف قوته باختلاف هذه الدرجات نفسها والوجدان فى كل انسان انما يتعلق مباشرة بنفسه واعراضها فلا يمكن أن يتعدى الى ادراك الحالات النفسية للغير ولا الأمور الخارجية ولا ينفذ الى ادراك وظائف الجسم بل هذه الحقائق تصل اليها من طرق أخرى ومتى عرفناها استقرت فى الوجدان استقرار باقى المعانى والأفكار فيه ولا تكون أبداً هذه الحقائق يقينية لأن الذهن لا يقبل إلا ما جاء من طريقه وسرادة الوحدانية صحيحة مطلقاً لأنه لا يوجد بين الوجدان والحالات

الواقعة تحت ملاحظته أدنى واسطة بل هناك وحدة بين الطرفين

(الفاعل والمنفعل) أى ان الفاعل المشاهد والمنفعل المشاهد شىء واحد لا يفترقان : أنا الذى أعرف وأنا الذى أعرف وليس من المعقول ان ننكر على انسان انه يتألم وهو يشعر بأنه يتألم ولا انه يفكر فى شىء أو ينوى عمل شىء وهو مدرك لهذه الأشياء فى نفسه

فمشاهدات الوجدان صحيحة إلا أن يصيبه عيب ينشأ من تأثير العادات الرذيلة والأوهام الضالة أو سوء التربية العقلية

وقد اختلف العلماء فيم هو الوجدان ؟ فقريق يقول ان الوجدان ليس بملكة خاصة انما هو قوة مجموعة من ملكاتنا أى أثر الملكات بحملتها فهو صورتها المشتركة وعين ماهية النفس البشرية . وفريق يقول ان الوجدان ان لم يكن ملكة فهو وظيفة خاصة يدرك بها الذهن أفعاله وحالاته بالروية والمراجعة

ولأصحاب رأى الثانى ردود على الرأى الأول أهمها : اذا كان الوجدان مجموع الملكات أو ماهية النفس لصح القول بأنه كلما كان عمل الملكات قوياً كان الوجدان قوياً وتكون حدة الوجدان تابعة مباشرة لشدة الظواهر وتأثيرها . نعم هذا صحيح فيما يتعلق بالحس الشهوى كالألم مثلاً فان النفس يشتد شعورها به كلما توجهت اليه وفكرت فيه . أما فى الحس الظاهر وعمل الملكات الأخرى فان الوجدان يكون على عكس قوة التأثير وشدته أى انه كلما زادت قوة الشهوة قل تمييز الوجدان لها . مثلاً عند الغضب نرى الانسان غيره قبل الغضب كأنه يتخاص من ذاته فلا

يعين ما يفعل وعلى العكس من ذلك يكون الانسان صحيح النظر فصحيح المنطق بليغ العبارة اذا فكّر في نفسه قليلاً

وقال بعضهم موفقاً بين الرأيين : ان الوجدان على نوعين . الوجدان الذاتي ووجدان التعقل والروية . وحينئذ يمكن القول بأن هذا الأخير هو ملكة خاصة للقوة المدركة

اذا لم تتحقق شرائط الادراك فان النفس لا تدرك الظواهر ويبقى الوجدان جاهلاً لتلك الظواهر طبعاً وهو ما يسمى بجمود الوجدان

وأهم أسباب جمود الوجدان (ا) عدم الانتباه الحاصل من تأثير شديد لغضب أو خوف أو حمس أو نحو ذلك . فيقف الانسان ناظراً فيما حوله ولكنه لا يبصره يخاطب فلا يجيب . وقد يصاب بجرح خطير ولا يألم (ب) افراط التأثير أو تفريطه — فان المجموع العصبي لا يشعر بالتأثير الضعيف جداً ولا الشديد جداً (ح) استمرار التأثير — فان الاحساس اذا كان على وتيرة واحدة واستمر مدة يجمد الوجدان وإن يبقى الشعور به حتى نهايته . كالحاصل من خطاب طويل أو صوت راتب كصوت مركبات السكة الحديد فانه ينوم السامع أو الراكب على ان ذلك الصوت يوقظه لو انقطع فجأة (د) تأثير العادة — فان الموسيقى مثلاً لا يشمر بحركات يديه ورجليه عند عزف الآلات الموسيقية

(ج) العقل

العقل (Raison) ويسميه الفلاسفة الشرقيون النطق هو جملة المبادئ التي يسير عليها الإدراك العقلي (Entendement) في نظره وأحكامه أو هو الذهن من حيث هو مصدر الانظار الفكرية .

والعقل بمعنى أخص هو ملكة يعرف بها العام والضرورى والكامل والمطلق واللانهاية ، أو ملكة يعرف بها ما عجزت عنه المشاعر والوجدان اعنى ما كان عقلياً بطبيعته كالخالق سبحانه وتعالى والنفس البشرية أو مادياً ولكن لا تتناوله الحواس كالجوهر والماهية والحقيقة والجمال فهو اذاً أرقى درجات القوة المدركة

وقبل الكلام على العقل سنوضح هنا مصطلحات الفلاسفة في تفسير بعض الألفاظ ليسهل فهمها فنقول

الفرد والخاص والعام — الخاص يقابل العام ويتميز عن الفرد فهو وسط بينهما ومن المهم جداً التفريق بين الخاص والفرد لأن المناطقة يقولون بالانتقال من العام الى الخاص ولكن لا يكون من العام الى الفرد والفرد هو ما كان شيئاً بعينه أى المفرد ضد الجمع مثل فلان . هذا الحجر . هذه الشجرة

والخاص هو معنى يشمل أفراداً أو بعضاً من كل فيتعين به واحد أو عدة أشخاص لطبقة أو طائفة واحدة مثل انسان ورجال ونساء ومعادن ونبات

والعام كالجنس يشمل طائفة من الأمور أو الكائنات من نوع واحد مثل الإنسان والشجر والإرادة والأخضر. فإذا جاءنا معنى الإنسان أو معنى الشجرة كان لكل إنسان ولكل شجرة وهذا ما يسمونه بالمعاني العامة

والعام هو موضوع الإدراك مباشرة. لأن الحواس لا تدرك إلا الخاص فالحجر مثلاً لا ترى فيه الحواس إلا حجراً. أما الذهن فيدرك منه الجوهر والماهية وغيرهما لجميع الأحجار

الحادث^(١) والضروري^(٢) — الحادث هو ما جاز عليه الوجود والعدم أو ما صح وجوده على وجه آخر وما صح إنكاره عقلاً بغير وقوع تناقض أعني بلا إثبات ولا نفي في آن واحد

والضروري — ما كان وجوده واجباً أي لا يمكن أن يتصور عدم وجوده ولا وجوده على وجه آخر فكل كائن وجد بغيره وسبب وجوده ليس في ذاته هو حادث وذلك كالعالم الذي يمكن تصور عدم وجوده بلا وقوع مخالفة للفكر فهو ممكن وموجود ولكن ليس بالضروري

وأما الخالق سبحانه وتعالى فهو الضروري الوحيد لأنه العلة الأولى لجميع الكائنات المتصف بالكمال واللانهاية. واجب الوجود. ليس موجوداً فقط بل وعلة وجوده من ذاته وكل موجود بالضرورة على نوعين موجود بالضرورة المطلقة أو بالضرورة الإضافية فالأولى لا تليق إلا بالخالق سبحانه وتعالى أولاً ثم بكل ما يخرج منه ماهية الأشياء والثانية

ما يتعلق وجودها حتمًا على غيرها من تحقيق شروط مخصوصة أو قانون معلوم أو مبدأ مقرر طبقًا لنواميس الطبيعة أى الروابط الثابتة التى تكون عليها الكائنات والظواهر نعم هذه النواميس ثابتة ولكنها ليست ضرورية ضرورة مطلقة بل ضرورتها مفروضة . أى ان وجودها فى ذاته ليس بالضرورة وإنما لوجود المقدمات وجدت النتائج حتمًا إذا فوجود الكائنات فى العالم اما بالحدوث أو بالضرورة

أما بالنسبة لبني الانسان فان الضرورة هى ما تعرف بالأدب : وهو ما تأمر به الإرادة ولكن بلا اكراه ومنه تعريف الواجب فى عرف الفيلسوف (كنت) حيث يقول بضرورة الرضوخ للقانون احترامًا للقانون المطلق — والمتعلق بغيره

المطلق^(١) — هو ما لا يتعلق وجوده على غيره او على شرط ما ولا يحتاج لغيره فى وجوده وعلة وجوده من ذاته — والمتعلق^(٢) بغيره ما كان غير ذلك

بين المطلق والضرورى فرق دقيق المتأمل وهو ان المطلق كائن بذاته والضرورى كائن فى ذاته والأول أى الكائن بذاته هو ما اشتملت ماهيته على وجوده بالضرورة . لا يستمد وجوده من غيره ولا يمكن تصور عدم وجوده فهو لذلك أزلى أبدي مطلق وهو الخالق سبحانه وتعالى والثانى وهو الكائن فى ذاته ما لا يوجد فى غيره او ماله وجود

(١) وعرفه علماء الكلام عندنا بأنه الماهية بلا شرط شيء

(٢) وهو ما يعرف فى كتب الملة بالمقيد

مستقل ومنفصل عن غيره وهو معنى الجوهر عند بعضهم
يقول بعض العلماء بأن من الأوليات والحقائق الأولية ما هو من
قبيل المطلق لأنه لا يتعلق وجوده على شرط ما وهذه الحقائق ضرورية
أزلية مثل مبدأ الذاتية ومبدأ العلية فهما من قبيل المطلق وكذا الحق والخير
والجمال من حيث ماهياتها يعتبرونها من قبيل المطلق (مطلق نسبي بالقياس
للخالق سبحانه وتعالى) أعني إذا كانت المخلوقات والتصورات والعواطف
وأعمال الإنسان تمثل الحق والخير والجمال ولو على غير صفة الكمال فإن
الفكر يتصورها خالصة من كل نقص واجبة الوجود لا تتغير مطلقة
في ذاتها

والقانون الأدبي مطلق أيضاً. أما اللذة والفائدة فليستا كذلك بل
هما من قبيل المتعلق بغيره وهى الشروط المختلفة التى تكون علة لوجودهما

عود الى العقل :

فالحس باطناً كان او ظاهراً لا يتعدى دائرة الممكنات والأشياء
الخاصة دون العامة والمتعلقة بغيرها دون المطلقة

أما العقل فينفذ الى ما وراء الحقائق التى يدركها الوجدان والحواس —
فيدرك الارتباط الضرورى بين الافعال والافكار ويتعدى الخاص الى
العام ويرتقى فى نظره الى (الموجود المطلق) فمثلاً عند رؤية مصنوع
قديم لا يسمح لنا العقل بالتردد لحظة بأن له صانعاً وأنه لم يوجد
من تلقاء نفسه مع ان هذا الصانع قد يكون مجهولاً تماماً لا نعرف له

اسماً ولا زماناً ولا مكاناً كذلك كل نظرة الى السماء ذات البروج او الى هذا الفضاء العجيب تدل على ان له صانعاً عظيماً هو خالقه وحافظه جل شأنه ولو لم نره في مكان ومن ذلك عرفنا علة العمل أى العلة الأولى للموجودات هذا ومن مشاهدة فناء الكائنات التى حولنا وتغيرها حكمنا بأن تلك الذات يجب ألا يلحقها تغير ولا نهاية ولذلك قلنا أنه عز وجل دائم لا أول له ولا آخر وان له الكمال المطلق حتى لا يستوى مع باقى المخلوقات فى صفاتها أو خواصها المعلومة

وبالعقل ميز الخالق سبحانه وتعالى الانسان عن جميع المخلوقات وجعله أعلا مرتبة من سائر أنواع الحيوان

وملكة العقل أهم الملكات فى تحصيل المعلومات البشرية فهى سراج الأذهان وترجمان المشاعر فشلاً اذا خدعت العين بظاهر منظر النجوم فى السماء فلا يسلم العقل بأنها مجرد نقط مضيئة بل عرفها الانسان أجراماً سماوية كالأرض والشمس والقمر ونحوها وذلك من طريق العقل

وبالعقل يفرق الانسان بين الحق والباطل ويحكم على أفعال الإرادة بالمدح أو الذم وبالجملة يكون قادراً على التعلم والتفهم وتدير الحياة

وللعقل حدود كباقى الملكات لأنه لا يفهم الى ما لا نهاية ولا يعرف حقائق جميع الكائنات بل يعترضه فى طريقه أسرار خفية فيما وراء الطبيعة وفى الطبيعة نفسها بل وفى الانسان نفسه

صحة تقريرات العقل — يُملى العقل من أحكامه الصحيحة كما يُملى الوجدان مشاهداته فلا يخطئ البتة ويؤيدها بأدلة واضحة المحجة فلا

يستطيع الانسان أن يفضى عنها جفنيه . قال الشهير (فينلون) للأذهان
شمس تضيئها كلها كما تضيئ شمس النهار ما حولها من الأجرام
وهذه الشمس لا يحجبها غيم إلا ما يغشاها من شهواتنا تهدي
أهل الجهالة في غياهب جهلهم وضلالهم لا يضل عنها إلا من
كانت على أبصارهم غشاوة تضيئ سبيل الحياة فتكشف لنا الغطاء عن
أسرار الموجودات فلا نفرق بين شيء منها إلا بنورها كما لا نرى الأجسام
إلا في ضوء الشمس

أسماء العقل المختلفة — للعقل أسماء تختلف باختلاف موضوع
البحث وأسلوبه

أما من حيث الموضوع — فإن كان للبحث عن الحقائق الخالصة
أو النظرية والعامة فيسمى النظر العقلي أو الفكري وفيما يتعلق بالحقائق
الأدبية والأخلاقية فهو النظر العملي أو الضميري وفيما يتعلق بالفنون الرفيعة
وفن الجمال يسمى بنزوى الجمال . وفيما يتعلق بالحقائق المسلم بها عند الجمهور
أى الحقائق الأولية فيسمى بالنزوى المشترك أو السهوى العام . وفيما يتعلق
بخصافة الرأي وكياسته في تمييز الحق من الباطل يسمى بالنزوى السليم أو
سهو النزوى ولا يكفي الانسان ان يكون ذا عقل بل حسن استعمال
العقل هو كل الحياة

أما من حيث الأسلوب — فيسمى بقوى المدعى إذا ألهم حقيقة
من الحقائق الأولية أو أولية من الأوليات ويسمى بقوى الاستنتاج عند
النظر فيما أخرجته التجارب ومقارنة الأمور ببعضها لاستخراج الحقائق

من مجموعها . وسنتكلم الآن عن موضوع قوى الحدس وهى الأوليات
والحقائق الأولية . أما موضوع قوى الاستنتاج فتكلم عليه فى باب قوة
التحضير والأعداد

﴿ الأوليات والحقائق الأولية ﴾

الأوليات هى المعانى الضرورية الكلية المتخذة أساساً لآرائنا وحكمنا
على الأشياء

هذه المعانى هى ادراكات الذهن البسيطة . بحيث يكفى للدلالة عليها
لفظ واحد مثل قولنا : كائن . جوهر . علة .

وتدرك الأذهان مثل هذه الأوليات بالتجارب فمثلاً من الكائنات
الحادثة عرفنا الكائن الضرورى ومما له نهاية ما ليست له نهاية ومن
الناقص الكامل وهكذا كل فكرة حقيقة لا تأتى إلينا منفردة بل تأتى
منظمة الى غيرها من الأفكار المحسوسة والأفكار الأولية ليست من
أمالى الحواس ولكنها جاءت بمساعدتها . وبسببها مثلاً اذا وقعت جناية
قتل فأول ما يتساءل عنه ويرد على الذهن من الفاعل ؟ (فكرة السبب)
ثم ما السبب الدافع له على قتل أخيه ؟ (أى الغرض أو الغاية) ثم كيف
حصل القتل وفى أى وقت ؟ (أى الزمان والمكان) ثم ما درجة التهمة
ومسئولية القاتل قانوناً ؟ ثم ما نتيجة هذه الجريمة ؟ كل ذلك معناه اننا
نقرر ضمناً بوجود السبب والغاية الخ حتى قبل الوقوف على حقيقتها
هذه المعانى سميت بالأوليات لأنها ترد على الذهن بمجرد استعمال

ملكاته وكذلك بسبب أهميتها لأنه بدونها يستحيل علينا أن نفسر أية تجربة أو نبدي رأياً أو نستدل على شيء من طريق العقل — قال لايبنز —
الأوليات في الذهن كالعضلات والأوتار في الجسم
والأوليات الأصلية هي معنى الكائن والجوهر والعلّة والغاية واللانهاية
والزمان والمكان والمطلق والكامل

وهذه المعاني هي أساس جميع العلوم . فالهندسة بنيت على معنى
الامتداد والفراغ . والحساب على معنى العدد . والجبر على الكمية . والميكانيكا
والطبيعة على الحركة والقوة . والكيمياء على الجوهر . والفلسوفيا على معنى
الحياة . وعلم الأدب على الخير . وما بعد الطبيعة على المطلق
ولهذه المعاني المختلفة أسماء مختلفة في الفلسفة . فيقال المعاني الأولية
أو الأساسية أو الغريزية باعتبار أنها تولد معنى كما يقول (ديكارث)
و (لايبنز) ومعان أولية أو صور أولية إذا قلنا أنها سابقة على كل تجربة
كما يقول (كنت) أو مقولات كما يقول (أرسطو) أو معان فقط وهذا ما
نجرى عليه في شرح نظريتنا في هذا الكتاب

الكائن — كل ما جاز عليه الوجود والعدم فهو كائن والبحث أو
المعرفة التي يسعى وراءها الانسان لا تخرج عن دائرة الكائنات لأن
الذهن لا يدرك المعلوم المطلق أي ما لا وجود له ولا يمكن أن يوجد
ويقابلها الممكن والمستحيل عند علماء الكلام

الجوهر — في كل كائن مادي أو روحي يجب أن يميز بين جوهره
وأعراضه وبين موضوعه وصفاته وخواصه لأن جوهر الكائن هو مادته

المسكون منها التي لا تتغير بل تبقى وراء الظواهر والاعراض . هو الكائن ملحوظاً في ذاته سواء وجدت تلك الاعراض أو انعدمت
العلّة — العلة على العموم هي ما تولد عنها غيرها بفعلها — لأنه بمجرد مشاهدة ظاهرة من الظواهر يطلب العقل معرفة سببها أي علتها ويرتقى الانسان في تطلابه من العلة التي لا توجد من نفسها المسماة بالعلل الثانوية الى العلة الأولى المستقلة بنفسها

كل ظاهرة تبدو وكل شيء يوجد يقتضى وجود فاعل أو علة فاعلية
الغاية — الغاية هي الغرض الذي من أجله وجد الشيء ، لأن كل فعل تتم بروية وامعان يسبقه عادة سبب يحدد ارادة فاعله وهي غاية الفاعل التي يطلبها بعمله

اللانهاية — مشاهدة الكائنات المحدودة المعلق وجودها على غيرها البعيدة عن الكمال التي نشاهدها في هذا العالم المحيط بنا توحى الينا فكرة وجود كائن كامل لا ينقصه شيء من صفات الكمال لانهاية له مطلق الوجود أي لا يتعلق وجوده على شيء آخر بل وجوده بذاته وهو العلة الأولى لجميع الكائنات . تلك الذات العلية جل شأنه فاطر السموات والأرض وهو على كل شيء قدير — أما اللانهاية في العلوم الرياضية فهي من المفهومات المجردة التي ليست لها حقائق تقابلها

الزمان والمكان — يراد هنا بالزمان والمكان الخياليان لا الحقيقيان والزمن الخيالي غير محدود وهو عبارة عن توالى الزمن الذي وجدت فيه الكائنات الحادثة — والمكان الخيالي هو الفضاء غير المحدود الذي تتصوره

مكاناً لجميع العوالم التي شاءت قدرة الخالق سبحانه وتعالى أن توجد لها
وبالاختصار اننا نفهم من طريق العقل ان لكل فعل سبباً هو
موجده وان الصفات والأعراض متغيرة ؛ أما الجوهر فلا يتغير ، وان
الحوادث تقع متتابعة في مدد معينة ولكن الزمن غير محدود ، والفراغ
الذي يحوى جميع الأجرام ممتد الى ما بعدها لأنه واسع لا نهاية له ، وان
جميع الكائنات الحادثة تنعدم الا الكائن الأعلى الذي لا أول له ولا آخر
وان الحقائق والخير والجمال الخاص ليست الا أشعة تلك الحقيقة وذلك
الخير والجمال المطلق الأبدى الذي ليس كمثل شئ

والأوليات هي عناصر الحقائق الأولية

الحقائق الأولية — الحقائق الأولية أو المبادئ العقلية هي أحكام
بُنيت على مناسبات لزومية بديهية بنفسها تصلح لأن تكون أساساً
للاستدلالات العقلية

مثلاً : لكل حادث سبب . هذه حقيقة أولية تشمل معنى السبب
وهي أولية من الأوليات كما تقدم

هذه الحقائق الأولية هي المعروفة بالمبادئ الأولية أيضاً
المبادئ المرشدة للمعرفة — وتسمى أيضاً بالمبادئ العقلية هي الحقائق
الأولية التي يخضع لها العقل كي يؤدي وظيفته وهي معرفة ما وراء الحس
والحكم عليه والاستدلال الذهني الصحيح

وهذه المبادئ ان كانت للفكر سميت (بالمبادئ النظرية) وان
كانت للسلوك الاخلاقي سميت (بالمبادئ العملية)

والمبادئ النظرية تتلخص في أمرين مبدأ الذاتية ومبدأ السبب الكافي :

مبدأ الذاتية — الشيء الواحد إما موجود أو معدوم ولا يمكن أن يقال انه موجود ومعدوم في آن واحد والشيء لا تتغير ذاته بل يبقى هو هو بذاته وعينه

من مبدأ الذاتية يتفرع مبدآن — الأول مبدأ التناقض وهو ان الشيء لا يمكن أن يكون موجوداً ومعدوماً في وقت واحد وبعبارة أخرى لا يمكن اثباته ونفيه في آن واحد

الثاني — مبدأ التناقض — أى ان الشيء إما أن يكون موجوداً أو معدوماً صدقاً أو كذباً . شكاً أو يقيناً ولا وسط بين ذلك

ومبدأ الذاتية أساس العلوم الرياضية . لأنها ليست الا تطبيقات على هذا المبدأ . والمعادلات الجبرية جميعها وحدات متحدة الذاتية مبدأ السبب الكافي —

أعم مبادئ التكوين مبدأ السبب المسمى بالسبب الكافي . وبيان ذلك : اننا لا يمكننا تصور أن شيئاً وجد من العدم أو وجد بغير سبب اقتضى وجوده — بمعنى انه لا شيء في الوجود إلا وله سبب يُبين لنا كيف وُجد ولم وُجد وهما علته الفاعلية وعلته الغائية

مثلاً — الكائن الضروري (واجب الوجود) أى الكائن الذى لا يمكن ألا يكون هذا وجوده من نفسه فهو وجد بنفسه ولنفسه واليه مبدأه وغايته

أما الكائن الحادث (الممكن) فليس سبب وجوده في نفسه . لأنه قد لا يوجد . إذاً لزم أن يكون سبب وجوده ومبدأه وغايته أمراً خارجاً عنه . ولما لم يكن أزلياً أي واجب الوجود إلا الكائن الضروري وهو الخالق سبحانه كان هو السبب الكافي لجميع الممكنات التي خلقها بذاته ولذاته

لا يكفي في وجود أي شيء أن يكون ذلك الشيء ممكناً أو ليس في وجوده تناقض فقط بل لا بد له من سبب كاف لوجوده . ذلك السبب يشمل كون الشيء ممكناً في ذاته وقريب التناول من الأفهام أي ميئناً ليم خلق وكيف خلق ولذلك سمي مبدأ السبب الكافي بمبدأ المفهومية العامة ومعنى المفهومية العامة أن كل شيء في الوجود مفهوم له علة وجود وسبب بياني وأن كل شيء في الوجود إنما وجد مطابقاً لقوانين العقل أي بعلة هي فكرة عقلية كذلك ولا شيء ممكن الوجود بغير أن يكون وجوده مطابقاً لقوانين العقل . ذلك ما نتمسك به حيال جميع الكائنات في هذا العالم وعليه تأسس العلم لأن العلم هو البحث عن الأسباب والعلل

ولما كان الذهن الانساني فهيماً أي قادراً على فهم الأمور وادراكها بحقيقتها وكان العالم مفهوماً معقولاً خالياً من التناقض تنطبق عليه مبادئ العقل وقوانينه وتتحقق فيه أصوله وأفكاره بلا عوج ولا استثناء . صح القول بأن العقل البشري هو صورة (نفحة) من العقل الأزلي الذي أحسن كل شيء خلقه

يشمل السبب الكافي مبدأ العلية ومبدأ الجوهر ومبدأ النواميس الطبيعية ومبدأ العمل الأقل
مبدأ العلية ومبدأ الجوهر —

العلل — العلة على وجه عام هي العامل الموجد للكائنات أو
الظواهر — تبع فلاسفة القرون الوسطى ارسطو في تسمية جميع الشرائط
العامّة للكائنات باسم العلل
فالعلة عندهم بوسع معناها عبارة عن المبادئ المتعلقة بخواص
الكائنات وعلاقاتها ببعضها
والعلل على أربعة أنواع :

العلة المادية — ما جاءت جواباً لقولك مِمَّ صنع هذا الشيء
والعلة الصورية — ما جاءت جواباً لسؤال يخص صورته وماهيته
مثل قولك كيف صنع ذلك الشيء
والعلة الفاعلية — هي جواب لكل سؤال يخص أصل الشيء
كقولهم من الذى صنع ذلك الشيء ؟ وهذه هي العلة الحقيقية
والعلة الغائية — هي ما وقعت جواباً لسؤال يخص الغاية من صنع
الشيء كقولهم لِمَ صنع ذلك الشيء ؟

إذاً يجب أن تتوافر شروط أربعة لوجود أى كائن طبيعى وهو المادة
حيث لا شيء يوجد من العدم . والصورة لأن كل كائن لا بد من وجوده
على نوع محدود . والعامل لأن الشيء لا يوجد من نفسه . والغاية لأن لكل
شيء فى هذا الوجود غاية وجد من أجلها

مبدأ العلية — العلية هي عمل العلة من حيث هي علة أو هي
الرابطه الحقيقية بين العلة والمعلول والقاعدة التي تربط المعلول بعلة تسمى
مبدأ العلية

ولايضاح ذلك نقول : لا يوجد حادث أو معلول بلا علة . أو كل
معلول يقتضى وجود علة مناسبة أو لا شيء يبدأ فى الوجود بلا علة تتقدم
وجوده . وكل تغيير أو تحويل يقتضى وجود علة تكون هي مصدر ذلك
التغيير أو التحويل

والظاهرة وهي كل تحويل أو حركة لا تكون الا حيث يوجد
مستقر لها ثابت وهو ما يسمونه بالجوهر
ومبدأ العلية من قوانين الذهن البشرى التي لا تقاوم ولا يعتورها
شدوذ ولا استثناء مطلقاً

العلة والجوهر — كل كائن علة وجوهر — فهو علة ما دامت فيه
قوة كافية لمروء ظواهر أو اعراض . وجوهر ما دام كائناً ثابتاً قائماً بذاته
ممتازاً بخواصه وصفاته وأعراضه

فالجوهر الكائن الحقيقي (شخص أو شيء) والكائنات الحقيقية لها
صفتان أصليتان « الوجود والفعل » لأن النشاط تنمة الوجود

فالفلس علة بالنسبة لأفعالها وجوهر بالنسبة لحالاتها واعراضها
مبدأ الجوهر — مما تقدم نعلم أنه بجانب مبدأ العلية يوجد مبدأ
الجوهر المتفرع منه . وايضاح ذلك :

كل خاصية تلتصق بجوهر وكل عرض يحمله جوهر . تتغير أشكال

الكائنات وتتبدل أعراضها وخواصها ويبقى جوهرها ثابتاً لا يتحول
مبدأ العلة الغائية — معلوم ان الغاية من أى عمل هو الغرض الملحوظ
في عمله والعلة الفاعلية كما قدمنا هي قوة سابقة تكون سبباً لوجود الشيء
أما العلة الغائية فهي فكرة قامت بذهن الفاعل وهي غرضه من
وجود الشيء

ومبدأ العلة الغائية عند الفلاسفة هو المبدأ الذي نحكم بمقتضاه ان
لكل شيء في هذا العالم غاية وان لا شيء في الوجود خلق عبثاً (وما خلقنا
السموات والأرض وما بينهما لاعبين)

ودليلهم عند معارضتهم في ذلك أمران : واحد من جانب الله تعالى
حيث لا يجوز في حقه تعالى أن يخلق ما لا غاية منه ولا حكمة فيه .
وواحد من جانب المشاهدة وهي مشاهدة الطبيعة وقوانينها
كل ما في الوجود خالق بنظام : تناسب تام . وسائط منتجة . أوضاع
محكمة . فكر مرتب . حركة دقيقة . فن باحسان وابداع

قال الشهير بوسويه :

لا نقرأ من ذلك النظام والتناسب والوسائط الا انه وجد لغاية .
واذا لم يوجد لغاية فهو باطل ولا محل لوجوده . إن معنى النظام ومعنى
الغاية وان لم يكونا معنى واحداً فان بينهما علاقة كالتي بين العلة والمعلول .
حيثما وجدنا معلولاً حكمنا بوجود العلة وكذلك حيثما وجدنا نظاماً حكمنا
بوجود الغاية . تسخر الغاية الوسائط ولكن معرفة الوسائط هي التي
توصلنا لمعرفة الغاية

مبدأ الناموس الطبيعي — جميع الكائنات في هذا العالم خاضعة
لنواميس ثابتة عامة

وهذا المبدأ هو أساس العلوم الطبيعية (الكيمياء والطبيعة والتاريخ
الطبيعي وغيرها) والتجارب التي تمت في هذه العلوم زادت به بياناً وتحقيقاً
فلم يعد الاعتراض عليه بعد قيمة

مبدأ العمل الأقل — يرتبط بمبدأ الغاية مبدأ آخر يسمى مبدأ
العمل الأقل وهو ان الطبيعة تسير في عملها من أبسط الطرق وأقربها
وتنتج أقصى مفعول بأقل مجهود

فالطبيعة تقتصد في عملها اقتصاداً تاماً فلا تسرف من جهدها ووقتها
ولا تكثر من وسائلها وهي النواميس والعلل والملكات ونحوها بغير حاجة
والصفات المميزة للمركبات والحفائض الأولية هي انها لزومية عامة
مطلقة بديهية

أما كونها لزومية فلا أنه لا يمكن التفكير بدون الأوليات
والحفائض الأولية مؤداها مناسبات أو علاقات لزومية بين الأشياء
أعني لا يمكن ان لا تكون ولا يمكن ان تكون بخلاف — مثلاً اذا حدث
حادث فلا يمكن تصور حدوثه بغير علة لأن العلة لازمة للمعلول والمعلول
لازم للعلة

وكونها عامة — أي يقول بها الجمهور وتؤثر في حكمه على الأشياء
لا يهدمها جهل أو وهم — يعمل بها من ينكرها بغير علم منه فيتعارض
قوله وفعله

وكونها مطلقة — أى أنها لا تتعلق بفرد ولا زمان ولا مكان

قال الشهير فينلون : لا شك فى وجود الحقائق الأولية حيث لم تكن غريبة عن عقل الانسان — فهى كضوء الشمس حقيقى لا مريية فيه ولو كان الناس عمياناً . وقال غيره : توجد هذه الحقائق ولو لم يكن هناك عقول بشرية لتدركها . وقال بعضهم ولولا وجودها فى عقل الانسان بأصل الخلقة لكان كل استدلال عقلى باطلاً ومحالاً وانما يوجد فى العقل البشرى بعض حقائق وأصول أولية ومطلقة (أى مستقلة بذاتها لا تتعلق بوجودها على شرط) هى أساس هذه الاستدلالات كمعنى الحق والخير وغيرهما وكونها بديهية — أى واضحة بنفسها لا نزاع فيها يفهم معناها بمجرد النطق بلفظها — تضىء للعينين وتستولى على العقول ببداهتها ومن أنكرها فقد ناقض نفسه

وللأوليات والحقائق الأولية المقام الأول فى استدلالنا العقلية وأحوال حياتنا الأدبية . قال الشهير بوسويه : أنها تقودنا من حيث لا نتعب فى التفكير فيها كما نتحرك بفضل أعضائنا وعضلاتنا وما كنا لنعامها من قبل

وهى مبادئ العلوم كافة كما قدمنا . وبفضلها نحاجُّ المكابرين ونفهم الجهال حقائق الأمور ونفض المنازعات والخصومات الجدلية وهى علة التآلف بين الناس على اختلاف منازلهم وأزمانهم بل هى الرابطة الطبيعية بين الانسان وخالقه سبحانه وتعالى

كيف تحفظ المعاني في الحافظة ؟

تأثير الأشياء على أعضاء الحواس أوحى لقدماء الفلاسفة اقتراض وجود عناصر مادية في الأجسام توجهها الى جميع الأنحاء فتصيب أعضائنا بتأثيراتها . ويسمون هذا الصدور الذي يؤثر في حاسة البصر بوجه خاص بالمعاني الصور (Idées-images) أي المعاني المرتسمة في النفس ارتسام الصورة في المرآة

وعلى هذه النظرية يكون المنح مستودعاً تتراكم فيه المعاني الصور . على ان الأشياء لا ترسل للمنح الا هزات أو اهتزازات كما يقول الفسولوجي الانكليزي (هرتلي) وان جانباً من هذه الاهتزازات يبقى بالمنح أحياناً زمناً غير محدود كاهتزازات الضوء مثلاً

وهناك نظرية اخرى للشهير (ديكات) وهي نظرية الدُر المعنى أو الطابع المعنى الذي يحدثه الحس في المنح كتأثير الصوت في الفونوغراف أما ابحاث العلماء المصريين فتختلف كل الاختلاف عن هذه النظريات ويؤكد بعضهم ان حفظ المعاني ناشئ من فعل الحركة الحيوية للخلايا العصبية (Les neurones)

الفصل الثاني

في قوة الحفظ

تحفظ القوة المدركة ما تحصل عليه من المعلومات وترتيبها بثلاث قوى ثانوية : وهي الحافظة . وتداعي المعاني . والتخيل .

(١) الحافظة

الحافظة هي قوة يستبقى بها الانسان المعاني التي يحصل عليها فيذكرها متى شاء ويتثبتها متى ذكرها فتختص الحافظة أو الذاكرة بتغيرات النفس الماضية أعني الحالات الوجدانية التي تتولد من الظواهر النفسية فيما مضى فكأن الحافظة وجدان دائم

فنذكر ما نراه ونلمسه ونسمعه وجميع الانفعالات التي نتكبدتها والأعمال التي نعملها والأفكار والآراء التي نبديها — وفي الحقيقة ان الانسان يتذكره ذلك انما يتذكر نفسه أولاً فيتذكر الحوادث بالتبعية — وهذا سر اختلاف الناس عند ذكرى الحادث الواحد . لأن كل انسان يرى اى حادث كان من خلال شعوره وعواطفه الخاصة

ولكننا نجهل كيف تحفظ النفس تغيراتها الماضية — الا أن المفهوم ان هذه المعلومات التي نحصل عليها انما تنتقش في الذهن كثيراً أو قليلاً وتبقى

كامنة فيه حتى تخرجها المناسبات والظروف
والذكر أو احياء الوجود يأتي من ثلاثة طرق . اما ان ترد الذكري
من نفسها او من تداعى المعانى او بالارادة وشرائط صحة القوة الحافظة
اثنتان — فسلوجية ونفسانية فالأولى — هى صحة البدن وحالة المخ
دل الاختبار على أن المرض والافراط المضر بالصحة أو المؤثر فى
القوة الحيوية للجسم يضر بالفهم وعلى الاخص بالحافظة

والمخ سلطان قوى على الحافظة لا يدرك كهنه ولا تعلم طريقته وجميع
الحوادث الحية وضعف المجموع العصبى يؤثر فى الحافظة تأثيراً بيناً —
حتى لقد شوهد كثيراً أن رجلاً لم يذكر اسمه عقب ضربة أصابته فى رأسه

والثانية — الانتباه وتداعى المعانى لأن الانتباه التام شرط اساسى
للحافظة واتصال الافكار بعضها ببعض يسهل الذكر وتفككها يورث النسيان
والحافظة على ثلاثة أنواع — حافظة للمحسوسات وهذه يشترك
فيها الحيوان والانسان ، وحافظة للمعقولات وهى خاصة بالانسان دون
غيره من المخلوقات ، وحافظة للكلمات والتواريخ والالوان

والحافظة الجيدة هى التى تكون سهلة الفهم صادقة الحفظ سريعة
الذكر . وقلمما تجد هذه الشروط معاً فانك ترى هذا سريع الفهم سريع
النسيان وذاك بطىء الفهم بطىء النسيان

والحافظة الجيدة ضرورية فى الحياة البشرية والأعمال الذهنية فهى
شرط التعليم والنجاح — لأن الحواس والمشاعر تملى علينا الحاضر من

الأشياء وأما الحافظة فللأشياء الماضية وبدونها نفقد جميع المعلومات التي حصلنا عليها ونبقى جهلاء كما ولدتنا أمهاتنا

وعلى قوة الحافظة بنى الانسان أعماله الخاصة بالفنون والآداب بل هي مادته فيها ، والذهن الذى ينقطع عنه سلسال القوة الحافظة ينطفئ نوره ويحبط عمله أو كما قال (شاتوبريان) ان الفضل الأكبر فى تكوين القرائح لما تجمععه وتعيه

وسائل تقوية الحافظة — يجب على كل انسان أن يقوى حافظته بالعناية التامة بالدرس والتحصيل لتكمل وتزداد بالطرق الآتية :

(١) بالتكرار والمران — بأن يطالع كل يوم بضع صحائف ويردد ما يريد حفظه من المعلومات غير مرة . لأن كل قوة من قوى الذهن ككل حركة لأعضاء الجسم — توجد فينا ميلاً أو استعداداً غريزياً لاستعمال ذلك العضو . هذا الميل أو الاستعداد تختلف قوته ونشاطه باختلاف الرياضة والتكرار

(٢) نظام المطالعة — وذلك بترتيب الأفكار والمعلومات وربط بعضها ببعض — بأن يطالع الانسان وييده قلمه لوضع الاشارات تحت الكلمات أو الجمل الواجب لفت النظر اليها وتدوين المذكرات والملاحظات عما يهم المطالع فى ابجائه التى يميل اليها — لأن الاقتصار على مجرد المطالعة كالكتابة على الرمل لا تلبث ان يزول اثرها من الأذهان كما تزول تلك من الوجود

أمراض القوة الحافظة — يضر بالحافظة أمران — الذهول والاجهاد

أما الذهول فينشأ من مرض يصيب المخ أو ضربة على الرأس
ومن الحميات المخية ونحوها ويحىء تاماً أو جزئياً فجأة أو تدريجياً وقتياً
أو مستديماً

وعند الشيوخ تفقد الحافظة قوتها بنظام يخالف نظام تحصيل
معلوماتها بمعنى أنهم يرجعون الى حالة الطفولة فلا يبقى في أذهانهم إلا
معلوماتهم القديمة وما يذكرونه عن أيام طفوليتهم
وكذلك يضر بالحافظة اجهادها بتناول المواد الخدرة كالأفيون
والمرفين والكحول والسهر الطويل

ومن الغرائب ما حكاه الشهير (تين) في كتاب (الذكاء) من أن
خادم أحد سفراء اسبانيا كان يحضر أحياناً مجالس المناقشات الهامة لخدمة
سيده ثم تبين أخيراً انه لا يعي شيئاً مما قيل أمامه — حتى اذا ما أصيب
بجوى مخية وجاءته نوبتها وأخذ يهذى هذيان المموم قص بعض المحاورات
بدقة وترتيب مدهش ثم لما شفى ورجع المخ الى حالته الأولى عاوده النسيان

(ب) تداعى المعانى

تداعى المعانى يسمى اشتراك الخواطر أيضاً هو ملكة من ملكات
العقل متى ذكرت معنى جاءك معنى آخر لتشابه بينهما أو اتحاد في
موضوعهما — وكثيراً ما تأتى الفكرة أيضاً بظواهر نفسانية مختلفة
كتحريك عاطفة من العواطف أو ذكرى صورة من الصور أو أحياء
رغبة من الرغبات ونحوها

ويأتى تداعى المعانى من تقاربها أو تجاوزها بسبب ورودها للذهن
فى وقت واحد أو متعاقبة — لأن كل فكرة تتولد فىنا تذكرنا حتماً
بأفكار أخرى مرتبطة بها — مثلاً الشطر الأول من بيت شعر يذكرنا
بالشطر الآخر ومطلع القصيدة يذكرنا بالقصيدة كلها وهو ما يسمى عندهم
(بقانون الإقتران) اعنى تلاصق المعانى بعضها ببعض فى الذهن

الصور الخاصة لتداعى المعانى — يأتى تداعى الصور والمعانى من
ارتباط بعضها ببعض بعلاقات مختلفة . هذه العلاقات إما خارجية أو داخلية
أما العلاقات الخارجية فهى :

أولاً — العلاقات الطبيعية أو التلازم العقلى (١) علاقة العلة بالمعلول
وبالعكس فان تذكر النار يذكرنا بالاحتراق والإلتهاب بالبارود (ب) علاقة
اللازم بالمزوم والأصل بالفرع والشامل بالمشمول وبالعكس . مثلاً فكرة
الحرية والإختيار تجر الى فكرة المسئولية ومذهب الجبرية يذكرنا بسلب
الإختيار (ح) علاقة الوسطة بالغاية وبالعكس كالحراث يذكرنا بالحراث .
والجنح بالطيران

ثانياً — العلاقات الإتفاقية العرضية — (١) علاقة التشابه والتضاد
كالتى بين اعدام لويس السادس عشر ملك فرنسا وشارل الأول ملك
انكلترا . والسلم والحرب . والحب والبغض . والحرية والإسترقاق .
(ب) علاقة الإقتران الزمانى أو المكانى كالتى بين شرلمان وهارون الرشيد
وبرزخ السويس وقنال السويس

ثالثاً — العلاقات الوضعية الإصطلاحية . كالعلم والوطن —
والشهادة والعالمية

أما العلاقات الداخلية أو الفردية التي ترد على الأذهان لأسباب خاصة
فهذه تختلف باختلاف كل إنسان ولا يمكن حصرها ولا فائدة منها للعلم
لنداعى المعانى مكانة عالية فى الحياة العقلية والأدبية فهو الذى يسهل
للقوة الحافظة وظيفتها ويساعد قوة التخيل على التصوير والتشكيل — كما
أن له مضار قد تكون جسمية فتؤدى الى ارتباك الحياة وثقلها بتولد
الأوهام الكاذبة والحب والبغض والجرائم وغيرها مما تضرب له الحياة
الاجتماعية فكيف تكون الحياة اذا تورط الإنسان فى أن العمل متعب
والانتقام يرد الشرف . والابتحار شجاعة . وسوء الظن من أقوى الفتن .
واحتقار القوانين والشرائع حرية . والبطالة والغنى والعزلة التامة
سعادة وهكذا

والإنسان ولو بلغ أرذل العمر يكون حيث طبعه تداعى المعانى فى
طفولته غالباً فإن كان خيراً سلم عقله وقلبه وعرف سبيل السعادة وان كان
شرّاً انطبعت نفسه على السوء وأفسد من أمره وشرفه وتسممت حياته

فالواجب أن يصلح الإنسان من نفسه قبل فوات الوقت باجتناّب
النتائج السيئة لاشتراك الخواطر السيئة المرتكزة على التورط والتفريط
والخروج عن المألوف

ومصدر الأفكار الرشيدة : مطالعة الكتب الثمينة ومجالسة العقلاء

المفكرين وذوى السريرة القويمة الرحيمة فان ذلك كله مما يقوى ملكة الذوق
ويغرس عادة التلازم الخير الرشيد

ومصدر الافكار السيئة: اضطراب النفس على الاخص وتغلب الملكات
الثانوية: كالتخيل والحساسية على الملكات الاصلية وهى العقل والارادة .
لان الفكر كالعامل يقتضى توازن قوى النفس حتى تحفظ تناسبها وتضامن
مراتبها فانه بذلك التوازن والتناسب ورعاية النظام الرتبى للملكات النفسية
يعرف تفوق اهل الفنون

من الاحكام القاسية تقدير الناس بما يظهر على ملامحهم من علائم
الهدى والضلال على أن ذلك لا يمنع من أننا قد نقرأ فى جبين الكثير
من الناس ما يدل على حقيقة بواطنهم فانه بين الملامح والاخلاق ارتباط
شديد فى كثير من الناس

(ج) التخيل

التخيل هو ملكة الابتكار والاختراع

والتخيل لا يحى من العدم فان الله وحده هو الذى اوجد من العدم جميع
الكائنات — بل لا بد للمتخيل من مادة تخرج منها الأفكار والتصورات
هذه المادة يحصل عليها بقوة التحصيل كما قدمنا فاتعیه القوة الحافظة من
الأفكار والصور فى الخيال هو مادة التخيل — يحلل فيها ماشاء قوته
وينوعها من فكرة الى صورة الى مزجها ببعضهما بنقص أو زيادة أو
تجريد وهكذا فتراهم مثلاً يمثلون الأجسام الروحانية والأفكار بصور

مختلفة كأنها محسوسات فيرمزون للملائكة بأشخاص عليها مسحة الشباب والجمال وذوى أجنحة إشارة إلى اختراقها الفضاء إلى السموات العلى . وللروح بنور يغالب ضوء الشمس وللموت بهيكل عظمى بيده منجل إشارة إلى حصده الأرواح وهكذا . ويسمى هذا بالتخيل الاختراعى مقابل التخيل الحضورى وهو حضور صور المدركات الحسية والوجدانية فى الخيال وملكة التخيل تسمى بالمخيّلة

ويقوى التخيل بالتأمل والدرس

ومتى كان التخيل على نهج العقل والذوق أصبح جزيل النفع حميد الغاية فى الحياة البشرية — فهو الذى يخفف آلام الحاضر ومتاعبه بأحيائه الأمل فى المستقبل أن يكون خيراً منه

(أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل)
ويُحَبِّبنا فى الشجاعة والكرم ولولاه ما وجدت الأكتشافات والاختراعات التى هى نعيم الحياة وهو رائد العلماء فى أبحاثهم والصناع فى معاملهم وهكذا المهندس والنقاش والنحات والأديب فى اخراج كنوز القرائح واستنطاق الطبيعة وكشف أسرار الكون وإبراز امهات الاعمال فى كل فن ومطلب أما اذا ترك التخيل وشأنه بلا مرشد يهديه ولا زمام يتقوده أُخِلَّ بنظام الحياة حيث يتعذب كل طماع هلوع لا يشفى غليله إلا أن يكون له دون غيره ما هنالك من الدرجات والمراتب العلية موصولة لواحدةها بسوايقها لا يتساعح الدهر ان يتغافل عنه يوماً وليلة ويضل المخاطر فيتيه فى دياجى أوهامه المهايكة — وتذهب من ذوى العقول عقولهم فيضلوا

سواء السبيل وتهلح قلوب الضعفاء بمرض اليأس والقنوط ويضعف الغلو
آلام المنكوبين فتشتعل الاوهام الباطلة في رؤوس ضماف الاحلام
فتورهم الضجر والملل والخاوف الكاذبة والوساوس السخيفة التي تؤدي
الى السخرية والخليل وعدم الثبات والعياذ بالله

وللبينة أثر محسوس في تكوين الذوق وهو ملكة تنشأ من تعود
التخيل على وجه خاص . فشلاً تخيل شعراء بلاد العرب يخالف تخيل
شعراء العراق وتخيّل هؤلاء يخالف تخيل شعراء الاندلس وهكذا والذوق
يختلف أيضاً باختلاف الصناعات كما لا يخفى

الفصل الثالث

في قوة التحضير والأعداد

يُعَدُّ الفهم المعلومات المكتسبة المخزنة في القوة الحافظة أي يهيئها
ويقويها وينوعها بملكة التفكير وطريقها الانتباه والتجريد والموازنة والتعميم
والحكم والقياس العقلي (النظر)

(١) الانتباه

الانتباه هو استحضار قوى الذهن وتوجيهها نحو الشيء لإجادة
فهمه وليس للانتباه موضوع خاص وإنما هو شرط أساسي لكل
المعلومات التي يسعى وراءها الانسان

والإنتباه أما أصليّ أو عرضيّ

فالإنتباه الأصليّ ما كان باستعمال المشاعر والملكات للعلم والفهم
قصداً - فلا يكفي في الإنتباه أن ينظر الإنسان الى الشئ بنظره
فقط بل ينظره وقلبه حاضر ليصره وكذلك في السمع واللمس والذوق
والفكر . . . الخ أعني وجود الإرادة أو اشتراكها مع الحواس والملكات
شرط في صحة الإنتباه

قد يؤدي الى الإنتباه جمال الشئ أو أهميته الحقيقية أو الإعتبارية
أو خاصية فيه ولا يكون للإرادة في ذلك نصيب . غير أن هذا النوع من
الإنتباه جدير بأن لا يسمى إنتبهاً وإنما هو تلهي لترويح النفس أو
مشغولية لصرف الوقت أي إنتباه عرضي

والإنتباه العرضي يزول في الحال كما عند الأطفال وضعاف العقول
مهما طالت مدته

والإنتباه الجدير باسمه ما كان شديداً بإنتباه الشهير نيوتن وغليليه
والخليل بن أحمد حين تنبه لوضع العروض عند سماعه الحدادين يضربون
السندان ضرباً بهم المرتبة المعلومة

سئل (نيوتن) مرة كيف كان اكتشافك لقوانين التفاضل قال
لأنني أطلت التفكير فيها

والإنتباه على ضروب - فهو إنتباه اذا أصغيت لحديث زميلك
أو معامك - ومساهمة - عند البحث في خواص الأشياء المادية كما
يبحث علماء الطبيعة والكيمياء في الظواهر الكونية . وروية اذا راجع

الذهن نفسه عند النظر في غير الماديات كما يفكر الرياضى فى المسائل
الرياضية والفيلسوف فيما وراء الحس ومبادئ الأخلاق ومناقضه -
إذا ناقد الخطيب خطبته والشاعر شعره قبل القائه والقائد خطبته قبل
هجومه

ويدخل تحت الإتياب تأمير المصورين فى جمال الطبيعة والمتصوفين
فى الكون وخالقه سبحانه وتعالى

والإتياب تأثير فى الحساسية والقوة المدركة والأرادة
أما تأثيره فى الحساسية فأما أن ينهض به أو يضعفه فقد يوقف
تأثير الجوع والظما والآلام مدة غير قليلة - حكي أن رجلاً كان مريضاً
بداء النقرس ومولماً بلعب الشطرنج فكان يضع منه ألم المرض عند لعبه
والإتياب دواء شاف للشهوات . وأحسن طريقة أن لا تصادم
الشهوات مصادمة ولكن بتحويل الذهن لغير موضعها بالاشتغال بعمل من
الأعمال أو التامى بأمر آخر أو السياحة لجهة أخرى قال الشهير يوسويه
الشهوات كالغدير يسهل تحويله ولكن يصعب إيقافه بسد مجراه

والإتياب يزيد فى قوى العقل فنفهم ونعى جيداً كلما يلقى علينا
وندرک أسرار ما يقع تحت أنظارنا قريباً كان أو بعيداً واضحاً أو غامضاً
فما دام الإتياب لا يفوتنا شيء البتة

والإتياب يعين الإرادة على وزن العلم والأسباب إيجاباً وسلباً فتصدر
عن روية وتورد بحزم - قال يوسويه : الإتياب يجعل المرء خطيراً مهيباً
بصيراً - ولذلك كانت مسئولية الإنسان بقدر إتيابه فيما اقترف

ولا يكون الانتباه تاماً منتجاً إلا بشروط ثلاثة (١) ان يكون قاصراً على موضوع واحد يفصل أجزائه بالتحليل لأنه بغير التحليل لا يحصل الانسان على معلومات حقيقية واضحة (ب) أن يكون بعزم فلا انتباه يحتاج حتماً لمعونة الإرادة واشترائها معه لأن الانسان لا يملك ملكة الانتباه من أول وهلة بل بالاعتياد والمران على ذلك (ج) أن يكون مستمراً وبغير إجهاد لأن الإجهاد يتعب النفس ويخمد قوتها فلا ينتفع بها ويكفى لترويح النفس انتقال الذهن من موضوع لآخر

(٢) التجريد

التجريد من عمل الذهن حيث يبحث في الشيء من احدى خواصه التي في الحقيقة لا يمكن أن توجد منفصلة أو منفردة

وهو نوع خاص من الانتباه

فالبحث عن الإرادة دون الفكر أو الاحساس مثلاً أو البحث عن مادة الحديد دون خواصه من وزن وشكل ولون وكثافة أو البحث عن أية خاصية من هذه الخواص دون غيرها كل ذلك يسمى تجريداً

ولما كان العقل الانساني لا يقوى على فهم حقائق الاشياء مجتمعة لقصوره اضطر الانسان الى التجريد أى بحث كل خاصية من خواص الاشياء واحدة بعد أخرى ثم ينتزع من صفاتها المتماثلة أو المتباينة أمراً عاماً كالانسانية والحيوانية مثلاً

والعلوم كلها مؤسسة على قواعد التجريد فالهندسة مثلاً تبحث عن

المساحات والجبر عن روابط الكميات والميكانيكا عن الحركة وهكذا علوم الضوء والصوت والاخلاق والاقتصاد والاجتماع وليست الاشياء كلها قابلة للتجريد بل ان كثيراً منها مجردة بذواتها كما توجد كائنات حقيقية ليست مجردات مطلقاً كالروح وخالق الوجود سبحانه

المعاني المجردة والمعاني المحسوسة . كل تعريف نحصل عليه بطريق التجريد يسمى معنى مجرداً . والوسائط الأصلية للمعرفة وهي الحواس والوجدان والعقل توصل دائماً الى المعرفة بصورة محسوسة أى معرفة مجملة غير واضحة فالكائن نعرفه بخواصه المختلفة وكذا الحس وكل عاطفة من العواطف أو ظاهرة من الظواهر انما نعرفها بظروفها وعلامها . وهذه المعرفة الأولى هي المسماة بالمعنى المحسوس ثم يأتي المعنى المجرد وهو الذى يبين لنا جنس الكائن أو الظاهرة أو العاطفة ونوعها

(١) ولا يختلط عليك المعنى المجرد بالمعنى العام فان الأول جنس والثانى نوع فكل معنى عام مجرد ولا عكس مثلاً لون تفاحة بعينها أو شكل خوخة بعينها من المعانى المجردة أما لون التفاح أو شكل الخوخ أو مطلق لون أو مطلق شكل كلها معان عامة

(٢) وكذا المعانى المجردة ومعانى الامور التى فوق الحس الفرق بينهما عظيم لأن الصورة واللون والوزن كلها أمور محسوسة ومعنى الصورة واللون والوزن التى هى صفات انتزعتها الفكر من الأشياء معانٍ مجردة أما معنى النفس وخالق الوجود اللذان هما من الكائنات التى فوق الحس فهما من المعانى المحسوسة لا المجردة

والفرق بين التجريد والتحليل ان الأول يبحث عن خاصية أو خاصيتين في الجوهر وأما الثاني فهو تحليل الخواص بأجمعها للجوهر الواحد . فالتحليل عام والتجريد خاص

(٣) الموازنة

الموازنة من عمل الذهن وهى مقارنة بين شيئين أو أكثر لمعرفة التناسب بينها

والموازنة تقتضى أولاً وجود شيئين بينهما تشابه واختلاف معاً لأنه لو لم يكن بينهما تشابه فالموازنة بينهما لا تجىء البتة ثانياً تجريد كل منهما على حدته لمعرفة الاختلاف بينهما ثالثاً حضور صفاتهما فى القوة الحافظة وترد الموازنة فى غالب المعقولات (١) بالموازنة تعرف جيداً حقائق الأشياء بتبيان المشابهات والمناقضات بينها فالحكم على لونين مثلاً لا يحىء بغير وضعهما بجانب بعضهما

وبالموازنة تجلّى الأفكار فى الانشآت وتطلى المعانى بجمال التعبيرات وتبرز للعيان بروز المحسوسات ولولا الموازنة ما كانت بلاغة الكلام من استعارة وتشبيه ومجاز وكناية ومحسنات لفظية ومعنوية . . . الخ (٢) والموازنة هى مصدر جميع المعانى التى نستبين منها العظمة والعلو والصغار والاسفاف والتقدم والتأخر . . . الخ (٣) والموازنة هى أساس التعميم والحكم والقياس العقلى كما سترى ، كما ان التجريد أساس الموازنة

(٤) التعميم

التعميم من عمل الذهن ايضا وهو ادخال عدد غير محدود من الكائنات
والأفعال في حدود معنى واحد يكون مشتركا
والتعميم مصدره الاستقرار والتجريد والموازنة
فاللمحوسات والمرئيات والطعوم والمسموعات والروائح والاعطار اى كل
ما يقع تحت الحواس سميت بالمحسوسات
وما عداها سميت بالمعنويات او الروحانيات
وكذلك جميع الحيوانات ما أكل منها اللحم سمي آكل اللحم ، وما رعى
النبات سمي آكل العشب وما تعددت معدته بالحيوانات المجترة وهكذا مثل
هذه المعانى تدعى المعانى العامة او المفهومات العامة
وملكة ايجاد المعانى العامة اختص بها الانسان دون سائر الحيوان
— لان الحيوان ليست له معلومات الامن طريق الحس اى فى دائرة
ضعيفة جداً لا تتعدى دائرة التجربة المحسوسة
اما مجال العقل الانسانى فغير محدود — فانه باستقراء المحسوسات
أمكنه الوصول الى معانى تشمل صنوف الموجودات صنفاً صنفاً فمثلاً من
النظر فى افراد الانسان وصل الى معنى الانسانية ومنها الى معنى الكائن
الروحى وهو الانسان والملائكة وخالق الوجود .
وبالاستقراء وببحث الظواهر أوجد قوانين نظام الظواهر المتشابهة
وكيف تنولد فى العالم

ويفرق العلماء بين المعنى العام والمعنى الكلى فيقولون أن الأول يأتي من الاستقراء أى التجربة والاختبار كإطلاق المحسوسات على كل ما يقع تحت الحواس والثانية تأتي من طريق العقل لأنها تدل على مبادئ أو قواعد بديهية تناسب جميع الكائنات مثل قولنا إن لكل كائن علة لوجوده وناموساً يخلق على أصوله . ففكرة جاءت من طريق البداهة لا من طريق التجربة كالفكرة العامة التى لا تشمل إلا جنساً أو نوعاً من الكائنات أو الحقائق الحادثة أو المفروض لزومها مثل نواميس الطبيعة والمعنى الكلى يدل على حقائق مطلقة لزومية لا تتغير كالحقائق الأولية وماهيات الكائنات مثلاً

والمعانى العامة درجات تختلف كثرة وقلة مثلاً ما يدخل فى مفهوم هذه الكلمات جنس . نوع . صنف . طبقة . فئة . ضرب . فإن مدلولها يكون متوالية تنازلية من حيث عدد الكائنات التى تشملها كل كلمة منها . ومتوالية تصاعده من حيث صفات وخواص هذه الكائنات وهاتان الدرجتان المتعاكستان تسميان بالسعة والقيود (الصدق والشمول) وهما خواص المعانى العامة

فسعة المعنى العام هى عدد الكائنات التى يشملها ذلك المعنى فقولنا مثلاً الإنسان يشمل جميع الناس فى الماضى والحاضر والمستقبل بيضاً وسوداً وصفراً

وقيود المعنى العام - هى مجموع الصفات الأساسية التى تقتضيها تلك الفكرة مثلاً معنى الإنسان يراد به شروطه الأربعة أى الجوهر والحياة والحس والعقل

وكما زادت السعة نقصت القيود وبالعكس فقولنا الحيوان يشمل عدد الحيوانات الموجودة على ظهر الأرض أما إذا قلنا الأسد فلا يتناول إلا نوع الأسد المعروف دون غيره من سائر الحيوان

وفائدة التعميم للعلوم لا شك فيها لأن كل علم مبني على جملة معان عامة مسهلة لفهمه ولولاها لكانت العلوم عبارة عن أسماء لا نهاية لها . وأما التعميم فيشقها طوائف سهلة الحفظ قريبة التناول من العقول البشرية ؛ والتعميم لا يقل في أهميته عن الحكم والقياس العقلي في المعقولات فكيف يدلل الانسان ويمضي حكمه ويترقى من الظواهر الى نواميسها بلا اشتراك التعميم ؛ اللغة بذاتها لا تقوم بغير التعميم والآن كانت كلمات واصطلاحات لا تدخل تحت حصر ولا يمكن أن يعيها الانسان - واعتبر ذلك في اسم الجنس (وكل اسم جنس معنى عام) فانه يقوم بقسم عظيم من قواميس كل لغة من اللغات

(٥) الحكم

الحكم عمل من أعمال الذهن به يقرر ثبوت حالة الشيء وانتفاؤها عنه أي الحكم بوجود توافق أو تناقض بين معنيين - والحكم هو العمل التام للفكر البشري

لأن الحس ليس كل المعرفة بل هو فرصتها ومادتها . والصورة ليست إلا صدى الحس . والانتباه عمل تحضيري للمعرفة . والقوة الحافظة تحفظ المعرفة وتخرجها عند الطلب . إذاً لا تكون المعرفة إلا حيث يميز

العقل الحس والصور ويقارن بينها ويرى العلاقات التي تربطها ببعضها بعضاً أو بعلمها أو بالعقل نفسه . ويؤكددها

ولكل حكم مادة وصورة . فالمادة هي الشيء الواقع تحت حواسنا أو الأفكار العارضة لنا . والصورة هي العلاقة التي يراها الذهن بين الموضوع والحمول وهو عمل خاص قائم بذاته بل هو الركن الأساسي للحكم . به يؤكد الذهن هذه العلاقة ويعتقد صحتها

ومما تقدم يتميز الحكم عن شيئين آخرين وهما الحس وتراعى المعاني وقد خلط بين الثلاثة فلاسفة المذهب التجريبي (l'école empirique)

لكل حكم ثلاثة عناصر : (١) معنى (لكائن أو لجوهر) يراد إثبات صفة له أو نفيها عنه (٢) معنى آخر (لصفة أو لعرض) يراد إثباتها للمعنى الأول أو نفيها عنه (٣) تأكيد العقل لما بينهما من المناسبة أو نفيها كقولنا الأرض تدور حول الشمس والشمس لا تتحرك والحكم إما أن يكون بالبداهة أو بالنظر (التأمل)

فالأول مثل حكمنا على الشمس أنها جسم مضيء . والخط المستقيم أقرب مسافة بين نقطتين — والدائرة خلاف المثلث . وان فعل الخير واجب على كل إنسان أعنى المعاني المحسوسة أو الخاصة التي يعرفها الإنسان بالحواس أو الوجدان

والثاني ما جاء من مقارنته بمعنيين من المعاني المجردة أو العامة مثل قولنا ان مجموع زوايا أى مثلث يساوى مجموع زاويتين قائمتين وان السوائل تتوازن فى الأواني المتصلة ببعضها مهما اختلفت إشكالها — فان مثل

هذه النظريات لا تتسق للعقل الا بعد تأمل وبحث قليلاً أو كثيراً
ومجهودات فكرية

والحكم اما عام أو خاص وسلبى أو ايجابى كما هو معلوم

(٦) النظر^(١) أو القياس العقلى

النظر عمل من اعمال الذهن أيضاً به يخرج حكماً جديداً من حكم أو
أحكام مقررة قبلاً

مثلاً يخرج الذهن من قاعدة ان جميع الأجسام قابلة للوزن أيضاً
أن الهواء قابل للوزن أيضاً لأنه جسم

وللنظر ثلاث مقدمات واحدة تسمى مبدأ (مقدمة صغرى) والثانية
نتيجة والثالثة وسيطة بينهما (مقدمة كبرى) وفي الغالب تكون مقدرة
مثلاً الأجسام قابلة للوزن . والهواء جسم اذاً الهواء قابل للوزن . ويمكن
أن يقال وهو الغالب الأجسام قابلة للوزن فالهواء قابل للوزن

كل نظر يشمل ثلاثة أحكام لأن معنى النظر تقرير علاقة بين
حكمين أحدهما مبدأ والآخر نتيجة بتوسط حكم ثالث قد يكون مقدراً
غالباً كما مثل

إذاً فعناصر النظر ثلاثة معان وثلاثة أحكام : هذه الأحكام الثلاثة

(١) النظر هو ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره (شرح المواقف) وعند
الباقلاى هو الفكر الذى يطلب به علم أو غايبة ظن . والفكر عند علماء الكلام ترتيب أمور
معلومة أو مظنونة بحيث يودى الى أمر آخر

تركب من مقارنة كلا المعنيين بالمعنى الثالث والنتيجة المنطقية الحاصلة من ذلك

وقاعدة النظر ان كل شيئين مساويين لشيء واحد متساويان أعنى اذا كانت $١ = ب$ و $ب = ح$ تكون $١ = ح$ (راجع مبدأ الذاتية) والنظر على ثلاثة أنواع : —

النظر التمثيلي — وهو تمثيل حالة خاصة بحالة خاصة فمن احترقت يده مرة في النار لا يقربها مرة أخرى لعلمه بالسبب وهي أن النار تحرق باللامسة

والنظر الاستقرائي — وهو تخريج العام من الخاص والقوانين من الحوادث الفردية والمبادئ من النتائج فمثلاً جميع الناس الذين لامسوا النار احترقت أيديهم (حوادث فردية) اذاً فالنار تحرق في كل زمان ومكان (قانون عام)

والنظر القياسى — وهو تخريج الخاص من العام مثلاً الفضيلة محبة اذاً فالعدل محبب

وللنظر أصول وقواعد من خصائص علم المنطق سنتكلم عليها بعد وللقياس العقلى أهمية عظمى فى اكتشاف كثير من الحقائق الجديدة والتدليل على الحقائق المعروفة وفضله على العلوم الرياضية لا يذهب عن اللبيب

أصول الأفكار والمبادئ الأولى

الآن وقد فرغنا من دراسة القوى العقلية المختلفة فقد بقي علينا أن نتكلم على مصدر الأفكار أو المعاني ومذاهب الفلاسفة فيه بغاية الاختصار فنقول :

ليس المراد هنا بنظرية أصول الأفكار مبدأ ظهورها وإنما يراد بتلك النظرية معرفة الأصل السيكولوجي أي مصدر وجودها في الإنسان وشروط ذلك

النظرية الأولى - صور المعلومات - قال فلاسفة اليونان إن أفكارنا هي (مشخصات مادية) نشأت من تصاعد الجواهر الفردة بعد انفصالها من الأجسام ودخولها بواسطة الحواس إلى المخ حيث تنطبع فيه كأنطباع الخاتم في الشمع . هذه التصاعيدات تستحيل صوراً مماثلة للأجسام التي انفصلت عنها - وبطلان هذا المذهب ظاهر ولا دليل عليه في العلم

النظرية الثانية - مذهب لوك (أي نظرية اللوح المصقول) - ومذهب كوندتيك - (أي نظرية التمثال الانساني)

يقول (لوك) ومن قبله أرسطو - إن النفس توجد لأول وهلة كاللوح المصقول خالية من الأفكار أي كانت بمعنى أن إدراكنا يولد كأنه خاصية إنفعالية تقبل كل تأثير يأتيها من الخارج . فالحس والتأمل هما العلة الفاعلية لأفكارنا . بمعنى أن الحس آلة لمعرفة الظواهر الخارجية . والتأمل آلة للظواهر الداخلية ويقول (كوندتيك) - أن الإنسان يولد كتمثال

خالياً من الافكار والمواطف ليس فيه إلا أعضاء فقط . والطبيعة الخارجية تحي فيه الملكات تدريجاً بمساعدة الحس وحده الذى يتحول الى إنباه وذكر وتحيل وحكم ونظر ورغبة وإرادة لأن الحس بصفته انفعالاً تمثلياً يولد الملكات العقلية بواسطة الانتباه . والانتباه حس متحكم كما ان الذكر حس محفوظ متواصل . والموازنة حس مضاعف . والحكم حس تولده الموازنة الخ والحس باعتباره إنفعالاً نفسانياً يولد الملكات الاخلاقية بواسطة الرغبة التى تولد فيه، وما الارادة الا رغبة متحركة

الرد على (لوك) - الحقيقة ان الحس علة لأفكارنا . ولكنه علة ناقصة ومادية ، والتأمل ملكة فى النفس للملاحظة حركاتها وتحليلها ودراستها متى تكونت بطريق الملاحظة والتجريد . والتجربة لا نعرف منها غير حوادث خاصة فردية . أما الأفكار أو المعانى الكلية الضرورية فلا انصل اليها من طريق التجربة وكذلك المطلق والالهاية لا انصل اليهما بالوجدان والمشاعر

الرد على (كوندياك) ان نظرية التمثال الانسانى تؤدى الى إنكار الحركة الذاتية للنفس وقوة العقل الخاصة به ومهما قيل ان للانتباه تأثيراً على المدركات الحاصلة من التجارب فبحال عليه أن يخرج لنا الأوليات والمبادئ العقلية .

الحواس توصلنا الى أن تحس بالضوء والحرارة والصوت ولكنها تقصر عن تكوين الأفكار . لأن المعرفة من أعمال حركة الذهن وهو الذى يحضر مدركات التجارب ويهيئها

ان تمثال كوندياك اذا كان مجرداً عن الممتلكات أصلاً فان التأثير الخارجى لا يمكنه أن يولدها فيه لا بواسطة الحس ولا بالانتباه وبالجملة فان المذهب يجرد النفس من ذاتيتها وحريتها

(٤) مذهب الفلسفة الواقعية (مذهب كونت ولترية)

يقول أصحابه ان (المطلق) ممتنع على الذهن البشرى وان العلم ليس له موضوع الا الحوادث وقوانينها أعنى ترتيب الظواهر التى تقع فى دائرة تجاربنا . . وينكرون وجود الجوهر والعلل وكذلك جميع مبادئ علم ما بعد الطبيعة بحجة أنه لا دليل عليها

الرد على هذا المذهب — ان التجربة تعجز عن ادراك صفتى المطلق والضرورى فى المبادئ الأولى . أما تعريف الجوهر والعلة والماهية التى ينكرها أصحاب المذهب الواقعى فيكفى أن نقول لهم ان الطرق العامة المحضة وهى بنت التجارب والعقل أوصلتنا الى معرفة ماهيات الأشياء وكذلك العلل والجواهر

أما ديكارت وتلاميذه فينكرون ان للحواس دخلاً فى تكوين الأفكار ويقولون ان الأفكار الحقيقية هى المعانى الفكرية ليس الا أعنى انها غريزية أودعها البارى سبحانه فى الأذهان عند خلقنا

الرد — على ذلك يكون لأفكارنا حقيقة ذهنية فقط واذا كان الأمر كذلك استحال علينا معرفة الحقائق الخارجية ومنهم من زعم ان الأفكار وراثية تنتقل من جيل الى آخر يعنى ان المبادئ الأولية تأتى من عادات يرثها جيل عن جيل — وسيأتى مذهب (كُنت) بعد وفيه صور فهمنا

الحقائق الأمور وهى قوانين الفكر عنده

الرد — اذا كانت هذه العادات مجموع حوادث خاصة حادثة فلا تنتج
الا الخاص والحادث دون الضرورى وبذلك يكون هذا المذهب باطلاً
وأصحاب المذهب الراجح يقولون انه لا التجربة بمفردها ولا العقل
بمفرده مصدر الأفكار بل التجربة والعقل معاً هما مصدرها . فالتجربة
تدلنا على الحقائق الحادثة والعقل يرشدنا الى الحقائق الضرورية
الكلية المطلقة

فبالعقل ومساعدة التجربة تدرك العلاقات الضرورية بين الكائنات
ولكى يصل العقل من المحسوس الى المعقول ومن الحادث الى الضرورى
يكفى أن يكون بين الفكرتين مهما اختلفتا علاقة منطقية وان هذه العلاقة
باقية لا تتغير . ولا يتعذر على العقل الحصول على هذه العلاقة وما عليه
الا تحليل حكم خاص واحد ؛ مثلاً لا بد فى كل حادث قتل من قاتل —
فيفهم العقل من ذلك ان طرفى العلاقة (وهما القاتل والمقتول) قابلان
للتغيير والتبديل ولكن العلاقة واحدة لا تتغير فهى كلية وضرورية —
هذه العلاقة هى علاقة المعلول بالعلّة طبقاً للقاعدة (لكل معلول علة)
هذه القاعدة يراد منها أنه ما دام فى العالم معلولات فلا بد لها من علل
أى ان فكرة الحدوث مرتبطة تمام الارتباط بفكرة السبب أو العلة ولا
يمكننا أن نفهم خلاف ذلك

وبالجملة فكل حادث فى أفكارنا ومبادئنا آت من التجربة أعنى من
الادراك الظاهرى والادراك الباطنى وعمل الذهن فيما حصلنا عليه من

طريق الحواس والوجدان — وكل ما هو ضرورى كلى مطلق فى أفكارنا
آت من العقل

هذا المذهب يراه المتأمل أنه خير المذاهب التى تقدمته وينطبق
على الطبيعة البشرية — فالإنسان وهو كائن ناطق ذو شعور لا يجوز عليه
القول بأنه يفهم بالتجربة دون العقل أو العقل دون التجربة بل بهما معاً
يفهم ويعقل ويبحث

ظهور الحالات النفسية

تظهر الحالات النفسية عند الإنسان بأمرين : الاشارات . واللغة .
وزاد بعضهم علم الجمال

الاشارات واللغة

ان من أهم ما أنتج النشاط الاختراعى للذهن هى اللغة فهى عمل
الفكر وأداته فى صورته : التخيل والادراك
واللغة تتركب من اشارات .

والاشارات هى أمور محسوسة تدل على معنى مثلاً حركة غصون
الأشجار دلالة الريح والدخان دلالة النار والضوء دلالة الكهرباء وهكذا
تلك هى الاشارات بمعناها الأعم أما بمعناها الخاص فهى أفعال ظاهرية
للدلالة على أحوال باطنية كالاستغاثة فانها تدل على حلول الخطر والكلام
يدل على معنى فى نفس المتكلم

والاشارات نوعان : اشارات طبيعية واشارات وضعية أو اصطلاحية
فالأولى مثل الضحك والدموع والشهيق كلها علامات للفرح والألم وهذه
الاشارات التي مبنياها اتحاد الروح والجسم واحدة عند جميع الناس مفهومة
لديهم لا تحتاج لتعليم أو ارشاد

أما الثانية أى الاشارات الوضعية فهي اشارات وضعها الانسان
ليتفاهم بها مع غيره مثل ألفاظ اللغة المدونة في القواميس وهذه تختلف
باختلاف الأمم والشعوب فاللغة هي مجموع الاشارات الطبيعية والوضعية
التي بها يتفاهم الناس وتواضعوا عليها فيما يعرض لهم من أحوال الحس
واختلاف العواطف والأفكار أعنى كل ما يتعلق بالحياة النفسية

ويدخل في باب اللغة الصور والرسوم والأرقام والعلامات الجبرية
(المعروفة في علم الجبر) وكتابة أهل الصين وقدماء المصريين والعلامات
الموسيقية لدلالاتها كلها على معان خاصة

زعم ريد (Reid) ان الاشارات الطبيعية وضعتها الطبيعة وحدها .
والناس أجمعون يفهمونها بالفريضة . أما الاشارات الوضعية فهي على العكس
من ذلك

فرد عليه بعضهم قائلاً ان الطبيعة عند ما لصقت ببعض حالات
النفس حالات ظاهرة جسمية لم تكن تقصد وضع اشارات كما يزعمون .
فالطفل اذا صرخ من ألم أصابه لم يكن صراخه اعراباً عن ألمه بل صراخه
من شدة الألم . كذلك الانسان في عهده الأول كان يصرخ من آلامه
ثم اتخذ بنو الانسان الصراخ علامات الألم والخطر فهي اذاً وضعية أيضاً

نتج من ذلك ان الاشارات الطبيعية والاشارات الوضعية تختلف في درجتها لا في طبيعتها وانما الانتقال من احدها الى الأخرى غير محسوس

أصل اللغات

للعلماء في أصل اللغة نظريات عديدة

النظرية الأولى — ان اللغة إلهام وتوفيق من الخالق تعالى منذ خلق الانسان ولكن ورد على هذا المذهب ان اللغة لو كانت إلهاماً لوجدت بادىء بدء تامة ولم تتدرج كما هو مفهوم ومشاهد وان الانسان هو كائن حساس ذو ادراك واستعداد تام لاختراع الكلام فبالقوة المدركة يتصور المعانى وبالمشاعر يدرك الأشياء المادية وبملكة التجريد والتمهيم يفهم العلاقات بينها وباللسان يخرج الأصوات حسب أغراضه

النظرية الثانية — ان اللغة نتيجة غريزة خاصة أصلية . بمعنى ان الانسان بطبيعته ناطق كما هو بطبيعته مفكر . وهذه النظرية تقرب كثيراً من النظرية السالفة . لأننا اذا قلنا ان الخالق تعالى ألهم الانسان الكلام مباشرة أو وهبه غريزة خاصة تحرك لسانه بالكلام فالمعنى واحد لأنه في كلا النظريتين اختراع الكلام بعيد عن القوة المدركة والارادة البشرية ولو كان ذلك صحيحاً لما تعددت اللغات بتعدد الأمم واختلاف

البقاع مع ان المعانى واحدة في الأذهان

النظرية الثالثة — ان اللغة وضع صناعى اصطلاحى من الانسان ، ولكن اختراع الكلام واتخاذها بدل الاشارات يستتبع اتفاقاً وهذا الاتفاق

يجب ان يكون مسبباً وكيف يتم ذلك والكلام لم يوجد بعد
ومن المقرر في علم اللغات ان العناصر المشتركة الأساسية في جميع
لغات العالم تناقض دعوى الاختراع الاختياري
النظرية الرابعة — يقول أصحابها ان الكلام نتيجة تحضير تدريجي
مطرد للغة الطبيعة . وهذه النظرية هي المعول عليها الآن بمعنى ان
الانسان وضع الكلام بنفسه لا باتفاق مع معاشريه وانما بالرقى الطبيعي
لملكاته . لأن الله أودع فيه كل ما يؤهله للتكلم . خلق له عضواً صوتياً
ذاسعة مناسبة يخرج أصواتاً ومقاطع كثيرة للاعراب عن جميع حالاته
الوجدانية . وغريزة عالية لا تهدأ الا بالاختلاط مع أمثاله ثم ملكة تكوين
المفاهيم أعنى المعانى المجردة والعامة والحكم عليها أعنى معرفة العلاقات
التي بينها

(١) عمل الفكر في اللغة

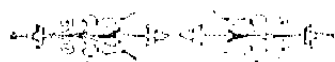
لم تكن الألفاظ في ذاتها الاً أصواتاً جامدة جوفاء . والفكر هو الذى
يضع لها المعانى باختلاف أغراضها ويحدد الغرض من كل لفظ حصراً
واطلاقاً . ويضع الألفاظ الجديدة للمعانى المستحدثة . فاللغة حياة
مستعارة متجددة . وليست شيئاً آخر الاً أشعة الحياة الفكرية
كذلك علوم اللغة فان أثر الفكر فيها لا يقل عن أثره في المعاجم
اللغوية التى هى مادتها . وقوانينها تعرب عن قوانين الفكر ذاتها التى هى
منطق اللغة

(٢) عمل اللغة في الفكر

كذلك للغة أثر في الفكر من وجهين فانها تساعد على انتقال الفكر وتساعد على تكوينه

لأن اللغة بواسطة أدواتها الخاصة وهي الكتابة تنقل للأجيال المقبلة كنوز الاختراعات والاكتشافات وسائر ثمرات العقول التي جمعتها الأجيال المتقدمة . فاللغة هي « القوة الحافظة للبشرية » أعني كالقوة الحافظة عند الانسان . وبفضل هذا النقل يعلم المتأخرون معلومات المتقدمين فيزيدونها اتقاناً أو يزيدونها بسطة وتلك سنن الرقي الاجتماعي . فكم من علوم لأهم ضاعت بسبب تأخر ظهور الكتابة عندها . كعلوم قدماء المصريين في عصر الفراعنة والشعر في بلاد العرب فان أقدم الشعر عندهم لا يزيد عن مائة وخمسين عاماً قبل الهجرة

عدا ذلك للغة أثر ظاهر في الفكر . لانها تحدد المعاني الفكرية وتزيد بها وضوحاً وبساطة



الباب الثالث

في الحياة العاملة

الارادة والاختيار

غير ما تقدم من قوى النفس توجد قوة ثالثة خاصة بالارادة والعمل الاختيارى

يدخل النشاط على الانسان من ثلاث جهات . الفريزة . والعادة . والارادة . وسنتكلم على هذه المسائل الثلاث وما يلتصق بها من الحرية النفسانية

أصل الفريزة والعادة

لم يكن النشاط على وجهٍ وظيفة خاصة للذهن بل هو الذهن نفسه لأن الذهن حركة بذاته فى الحقيقة . فاذا نظرنا الى الحياة الشهوية وجدنا وراء الميول والانفعالات ميولاً أصلية ليست إلا صوراً مختلفة لميل أساسى : « ارادة طبيعية » وهذه الارادة هى شىء من النشاط وان نظرنا الى الحياة العقلية وجدنا ان المعرفة لا تتم إلا بسلسلة من الأعمال المختلفة أى عمل مركب . هو أيضاً صورة من صور النشاط

وانه ليمكن القول بأن النشاط هو لب الجوهر فى كل موجود ولذلك قال (لايبنز) ما لا يعمل لا يوجد . وقال (شوبنهاور) ان كل كائن

« ارادة » بذاته أو مجهود أعنى نشاطاً وأما النشاط بمعناه الخاص فهو وظيفة خاصة للوجدان . أى قوة بها تصدر الأفعال الحيوية بحال تسمح لها بمكان فى الوجود يتلائم مع بقائها وحفظ نوعها وهذا النشاط يكون على صور ثلاث أصلية . أولاً ذاتية محضة بلا تصور فالكائن يجهل الفرض الذى يرمى اليه فهو يسير كأنه مدفوع بقدر لا محيص عنه وهو الفريزة . ثم بعد ذلك يأخذ النشاط فى إدراك نفسه ويسير بتصور نحو غاياته . وباختيار صادر من ذاته على ما يظهر يتم ما يريد وهذا ما يسمى بالارادة . ولكن لا يلبث الكائن الحى ان يعود الى الطبيعة الفريزية رويداً رويداً بدخوله تحت تأثير العادة

أنواع الحركات الأصلية - تظهر الحركات مع الحياة نفسها وهى مظهرها الحقيقى . وهذه الحركات وان كانت ذات أصل واحد إلا أنها لا تتشابه . فأتى بعضها من تنبيه باطنى أو فيض القوى الحيوية كأنها تتعجل الظهور الى عالم الفعل وتكون عادة غير منظمة ولغير غاية ويسمونها « بالحركات الآلية » مثل حركات الطفل التى يأتىها بمجرد الولادة من تحريك اليدين والرجلين مع الاستمرار وبدون انقطاع إلا فى حالة النوم . ويفسرها عامة الناس بأن (روحه اكبر من جسمه) ويأتى بعضها من تأثير خارجى دليلاً على استعداد التركيب الجسمانى لبعض تنبيهات تخدمه فى حماية نفسه من الطوارئ . ويسمى هذه « بالحركات القسرية » كالحركات التى يفعلها الطفل اذا وقع شعاع ضوئى شديد على عينه فانه يلفت وجهه بسرعة أو اذا مست يده ماءً ساخناً فانه يقبضها بسرعة أيضاً وهكذا

وهناك حركات أخرى ذات علة باطنة كالأولى ولكنها من جهة أخرى مثل الثانية ترمي لغاية محدودة وهي بقاء الكائن وحفظ نوعه . ترى من ظاهرها كأنها أعمال ادراك وتعقل وقد تدهش العقول بعملها في اختيار ما يلائم واتقاء ما يضرها في حياتها وحفظ نوعها كأن بها قوة تخيل . وبناء عليه قالوا أن لها ذلك من اصل خاص وهو الغريزة وليست هذه الحركات الثلاث منفصلة عن بعضها انفصلاً مطلقاً بل قد توجد مع بعضها في وقت واحد خصوصاً فان الحركة القسرية والحركة الغريزية قد يصعب تمييزهما عن بعضهما واختلف في اصل الغريزة ولكن الرأي الذي عليه جمهور الفلاسفة أن الغريزة لاصقة بالحياة أى باللبيل للوجود وفي الواقع أن الحياة لا تتحقق الا بعرفان الكائن لما يضره . وما ينفعه بالطبع . فالأدراك الأولى الضروري لهذا الاتقاء هو الغريزة

(١) الغرائز

الغريزة هي اندفاع طبيعي أعمى لا تيان فعل من الافعال بلاغرض ولا سبب والافعال الغريزية هي التي تأتى من نفسها بلا تأمل او تعقل وقال بعضهم أن الغريزة لا تأتى من العادة ولا من الوراثة بل هي خلقية فطرية

ويشترك الانسان مع الحيوان في الغرائز بل قد تكون اوسع عند الحيوان منها عند الانسان - فليس لدى الحيوان غير الغريزة يحفظ بها كيانه ونوعه واما الانسان فلديه العقل وهو أعلى من الغرائز طبيعياً

والغريزة عند الطفل وعلى الاخص عند الحيوان مجردة عن التدبر والتفكير ولكنها معصومة عن الخطأ ولا يلحق بها تغيير أو تبديل بل تراها على شكل واحد ونوع مخصوص

أما كونها مجردة عن التفكير فلأن الغريزة لا تعرف غرضها الذي ترمى اليه ولا الطريق المؤدية الى ذلك الغرض . فالطفل أو الحيوان الصغير حينما يرضع ثدى أمه لا يعرف فكرة الجوع أو العطش ولا منفعة اللبن في غذاء جسمه . انما يشعر بحاجته الى الرضاعة فيرد ألم الجوع بعمل غريزي لا يفكر فيه

العصمة عن الخطأ — الغريزة تصل الى الغرض مباشرة بلا تلمس فلا تخطئ البتة تحمل الطفل أو الحيوان على عمل ما يوافق طبيعته أو خاصيته من أول وهلة — فالطفل من أول مرة يضع فمه على ثدى أمه يضع شفثيه ولسانه بأحكام طريقة لتحلب اللبن من الثدي . والعنكبوت يغزل غزلاً عجيباً بغير تدريب أو تعليم — والبط يحفظ نفسه على سطح الماء ويعوم بلا تعليم أو تمرين من أول مرة وهي لم تر الماء قبل

عدم التغيير — الغريزة عند الحيوان تامة الخلقة من البداية ولا تتدرج — فالعنكبوت يغزل غزلاً تاماً والنحل يصنع العسل والنمل يبني قراه من يوم الولادة وهي دائماً على شكل واحد عند حيوانات النوع الواحد بمعنى ان غريزة البناء مثلاً لدى النمل والعنكبوت والجند بادستر واحدة في جميع افرادها . ومن نوع واحد لان كل حيوان له خاصيته لعمل نوع من العمل لا يتعداه مثلاً النحل لا يضع غير العسل والعنكبوت النسيج وليس

لا حدهما ان يصنع صنع الآخر فالحيوان اذن (عامل اختصاصى)
اما اصحاب مذهب التحول ^(١) فيقولون ان هذه الصفات ليست
للغريزة باصل فترتها وهى على الاقل لم تكن لها بادىء بدء واذا شوهدها
اليوم ظهورها فى الحيوان دفعة واحدة فذلك لأنها إنما جاءت اليه من
طريق الكسب والتجربة والوراثة . بدليل ان الحصان لا يعيش الغار الا
بالتدريب وكلب الصيد لا يحرق وراء الطريدة الا بالتدريب . اى أن
التدريب والتربية تنوع من الطبيعة الأولى للحيوان وتغرس فيه طبائع لم
تكن فيه من قبل كذلك تؤثر فيه نواميس الطبيعة تأثيراً متشابهاً . فان
التزاحم فى الحياة وتأثير الوسط يجعلان الحيوان يفعل ما يقبضه غائلة الجوع
أو الخطر أو يهيء لنفسه ما يكون صالحاً لحفظ حياته أو بقاء نوعه ، ومن
هذا التطور نشأت الغريزة فيه

فالغريزة هى الحلقة الأخيرة من سلسلة اختبارات متنوعة قام فيها
الاختخاب الطبيعى بدور ذى شأن

يقولون ان الغريزة لم تكن عمياء بالكلية . لأنها لما كانت نتيجة
اختبارات عديدة وجب أن تكون ذات نوع من الإدراك . لأن الحيوان
يعمل دائماً للوصول الى غايته بحسب اختلاف الوسط والطقس مثلاً فى
البلاد التى يكثر فيها الفراش آكل النمل . ترى هذا المخلوق الصغير يضيق
من فوهات خلاياه ما أمكن . والخطاف يبني عشه من القش فى البلاد التى
لا يجد فيها نوع الطين الموافق . ويقول كذلك ان الغريزة لا تعمل على

(1) transformistes

شكل واحد كما يدعى أصحاب المذهب الأول . لأن الطير المعروف باسم (بالتيمور) يبني وكره في أمريكا الشمالية من المواد ذات الوبر الحريري أتقاء البرد مع انه في أمريكا الجنوبية يبنيه من المواد التي تدفع حرارة الشمس أنواع الفرائز - الفرائز عند الانسان كثيرة منها ما هو خاص بحفظ حياته المادية ومنها ما هو خاص بحياته العقلية والأدبية فالأولى هي الأفعال الغريزية التي ترمى الى حفظ الجسم مثل الحركات التي تبدو من الانسان اذا أختلت موازنة جسمه وامتداد اليدين الى الأمام في حالة سقوط الجسم على الأرض مثلاً وأغماض العينين عند وقع ضربات أو هبوب رياح والثانية هي الأفعال الغريزية التي يأتياها الإنسان لأستكمال قواه العقلية أو الأدبية مثل الرغبة في السعادة والميل الى الدرس والمطالعة الذي لا يعلم سرّه وحب الجمال والخير والحقيقة

(٢) العادات

العادة هي الطبع المكتسب بالمعاودة والتكرار لفعل ما أو الأستمرار على حالة واحدة

ولاحظ بعضهم أن العادة لا تتم بتكرار الفعل الواحد مرّات متعددة إنما تبدأ العادة من أول مرة فأذا لم يبق لها أثر بعد المرة الأولى فلا تتكون العادة ولو كرر الفعل مائة مرة لأن أصل العادة في التغير الأول فكلما كان مألوفاً كانت العادة راسخة . ولذلك قالوا أن العادة بنت التكرار ولكنها ليست كذلك على العموم . لأن الأستمرار قد يكون أفعال في تكوين

المادة من التكرار وأن تغييراً وحيداً يتم بقوة وعزيمة أو يقع مصحوباً بالمذة حادة قد يكفي في تكوين عادة تبقى بقاء الحياة . وعليه يكون التكرار نتيجة العادة لا سببها كما يزعم بعضهم وما العادة إلا الميل للتكرار على التحقيق . وبالجمله أن جرثومة العادة في اللحظة الأولى للفعل الأول

وتنقسم العادات باعتبار أسبابها الى ايجابية وسلبية فالأولى ما تولدت من تكرار الفعل الواحد بعد جهد والتفات وتأمل مثل النبوغ في التوقيع على آلات الموسيقى فانه نتيجة عادة إيجابية

والثانية ما تولدت من أحساس متكرر أو دائم فلا يلتفت اليه ويترك وشأنه كجأورة الشلالات والآلات الميكانيكية فأن الإنسان ينتهي الى تعودها فلا يعود يشعر بها وتنقسم باعتبار الملكات التي تتعلق بها الى عادات عضوية وعادات عقلية وأدبية

فالأولى كأعتياد اليد عملاً خاصاً والمعدة نظاماً خاصاً والجسم أقليماً حاراً أو بارداً أو معتدلاً والثانية خاصة بالحياة العقلية — كأعتياد التكلم والحساب والملاحظة والقياس العقلي والثالثة هي العادات الناشئة من الضغط الذي تطبع به الإرادة والأخلاق والسلوك إنما يجب التفريق بين العادات الأيجابية والتكرار العقيم الذي هو عادة رديئة ترجع بالكائن الحي الى الجمود أي موت كل حركة وجدانية جديدة بالنفس البشرية ورقبها ونجاحها وللعادة تأثير على الحساسية والعقل والإرادة

(١) فالعادة تضعف غالباً جانب الأفعال من الحس فهي التي تمحو الآلام القاسية بمرور الأيام وتخفف الأشجان والهموم المتلفة وتقلل من

أهمية المناظر الجميلة والملاهي الطريفة فالإنسان يعتاد الألم كما يعتاد اللذة فتصبح ولا تأثير لها فيه

(٢) والمادة تقوى الملكات الفعالة لأن تأثيرها في حركة النفس الجسمانية والفعالية والأردية يزيدان ، فالألعاب الرياضية والأعمال اليدوية تشد القوى الطبيعية واعتياد التأمل يقوى الذكاء واعتياد التمسك بالفضيلة يغرس العزم في الإرادة فينبت الرجل الخير

وللمادة مزايا ومساوى فإذا حسن تدبير امرها كانت عوناً على ترقى الحياة في الصناعة والعلم والأخلاق وإذا ساء تدبيرها ضل صاحبها في الحياة الدنيا . وسعادة الإنسان وشقاؤه مرتبطة تمام الارتباط بالعادات الأدبية التي غرست في نفسه في أيامه الأول — والعادة السيئة لا تخرج من البدن حتى الممات لأنها كما قال أرسطو العادة طبيعة ثانية

ومداواة العادات السيئة إلا يكون لا بتركها والعمل بأضدادها

(٣) الإرادة

الإرادة هي ملكة العمل بتأمل وحرية (اختيار)

والنشاط يظهر بدرجات مختلفة في انفعالات الحساسية ومجهودات

العقل ولكنه في الإرادة أتم ظهوراً وأعلى شأنًا

وكل عمل من أعمال الإرادة فيه خمسة عناصر يتميز بعضها عن بعض

تميزاً تاماً (١) الاختيار — لأن الإنسان إذا كان مسيراً أى لا يملك

لنفسه إرادة واختياراً كان عمله مقضياً لا مفرّ منه وأما إذا كان له السلطان

التام على قواه وملكاته بلا تأثير خارجي أو داخلي كان سيد عمله

(٢) الإدراك — أى معرفة حقيقة العمل الذي يريد والغرض منه

والطريق التي يسير عليها لتحقيقه (٣) التروى - أى البحث في الأسباب الباعثة على هذا العمل سلباً وإيجاباً من حيث الواجب والشرف والميل والمصاحبة والهوى (٤) النية - أى النهوض للعمل أو القعود عنه (٥) التنفيذ - أى العمل الخارجى الذى يتلو النية عادة وليس التنفيذ من عناصر الارادة الأصلية لأنه يتعلق بظروف خارجية عن ارادتنا - وإنما الارادة الحقيقية تتم بالنية وهى متعلقة بنا وبها تقع مسئولية أعمالنا علينا ونلاحظ أحياناً ان عناصر الارادة المختلفة هذه تتم بسرعة تامة حتى لا ليخال للمرء أنها غير منفصلة - كما نشاهد ذلك فى انقضااض الام بمجرد رؤية ولدها فى خطر

فاعتياد المرء مجاهدة شهواته وصفاء الذهن وقوة الخلق وحنو القلب لا تركز به فى الظروف الحرجة الى التروى المعيب أو التردد الفاضح مما تقدم يعلم ان للارادة صفات أربع (١) تأمل : لمعرفة حقيقة العمل المراد اثباته والغرض منه (٢) حرية : ليختار ما ينشأ من مقاصده على هواه (٣) نفاذ : لأن الارادة فى مقدورها أن تفعل كثيراً سلباً أو إيجاباً (٤) مسئولية : أى ان الارادة مسئولة عن عملها بقدر علمها بالعمل وحريتها فيه

وتختلف الارادة عن القوة المدركة والحساسية

أما اختلافها عن القوة المدركة فلأن موضوعها الخير، وأما القوة المدركة فموضوعها الحقيقة أى أن الأولى موجهة للخير والثانية موجهة لمعرفة الحقيقة والقوة المدركة تثبت صحة النظر فى الأمور، وأما الارادة

فتقرر ما يجب أن يفعل فيها . والقوة المدركة مصباح الإرادة يضيء لها
الحجة لأنها عمياء لا تبصر طريقها في حد ذاتها فتبين لها الأسباب لتسير
في طريقها المأمون . والرشد وهو أرقى درجات العقل يقود الإرادة في
اختيارها ويعرفها القيم الأدبية لأعمالها

وأما اختلافها عن الحساسية . فهو أن أندفاع الحساسية مثل الغريزة
والرغبة والحب يذهب بأثر التروى والمشورة ، فالغريزة من القوى التي لا
أدراك لها ، أما الإرادة فتعرف نفسها لأن لها تأملاً واختياراً ، والرغبة
تولد فينا وعلى الرغم منا وتسير بلا ترو ولا اختيار وأما الإرادة فعلى النقيض
من ذلك حرة في أفعالها تماماً ومهمتها في الغالب مجاهدة الرغبة والوقوف
حائلاً بينها وبين مطالبها . نعم للرغبة تأثير عظيم في الإرادة ولكن لا ينتج
ذلك الخلط بين الرغبة والإرادة فالإنسان لا يتحمل مسئولية رغبته إلا إذا
أمست أفعالا اختيارية بفعل الإرادة . والحب ميل وقوى وهو مثل الرغبة يُولد
فينا بعيداً عن إرادتنا والإرادة عزم يتم بعد تأمل . وقد تكره على إرادة
مالا تحب أو على حب ما لا تريد . ومن هنا تعرف أن الإرادة تختلف
عن القوة المدركة والحساسية

والإرادة ملكة كبرى لها سلطان بين على الملكات الأخرى للنفس
وعلى الجسم أيضاً

تأثيرها في القوة المدركة — الإرادة وأن لم تستطع أن تقود القوة
المدركة تماماً ففي مقدروها (كما قلنا) أن تفعل كثيراً لتسهيل المباحث
أصول الفلسفة (١٤)

العقلية كما في أحوال الالتفات والتجريد والذاكرة وتداعى المعانى وغير ذلك

تأثيرها في الحساسية - الإرادة وأن لم تتوصل إلى نحو الحس والمواطف والتخيلات والميول ولكن في ملكتها أن توقف المظاهرات أو تخفف من غلوائها أو تمحوها بأدخال أسبابها وتفنيد مزاعمها (كما سيجىء في جزء الأدب والأخلاق)

تأثيرها في الجسم -- للأرادة تأثير في الجسم بالرياضة ومراعاة قانون الصحة والقناعة

(١) نظريات الفلاسفة في الإرادة

النظرية الأولى - وتسمى النظرية العقلية - يقولون إن في كل فعل ارادى عناصر أدراكية وعناصر شهوية لأن إرادة فعل شيء تستتبع ادراك الغاية منه. حيث الفرق بين الإرادة والغريزة أن في الأولى يعمل الانسان أو هو يعلم بما يفعل والسبب الحاصل له والغرض المطلوب منه ومن جهة أخرى ان الإرادة فيها معنى طلب الوصول الى غاية أو غرض ما. لأن من لا يطلب شيئاً لا يفعل شيئاً. كذلك يجب البحث في هل الارادة أجنبية عن القوة المدركة والحساسية أم لا ؟ يقول بعضهم أن الحكم على الشيء كاف لفعله . مدعين أن الفعل نتيجة مباشرة لمعنى حاز ميزة الأفضلية على غيره من المعانى والأفكار . أو بالحرى هو مظهر وجودها أو الوجه العملى لها. قال سقراط : أن أدراك معنى الخير كاف لفعله أعنى أن السلوك ترجحان

المعرفة عنده وقال (سبينوزا) أن المعاني ليست بأشياء لا حياة لها كصور صامتة على لوحة . بل هي ميول لا يلبث أصدرها أنه يتحقق متى فاز على غيره وقال بعضهم عكس ذلك : أن المعنى عنصر مجرد محض ليس له فاعلية ولا تأثير ما . ولا قبل له على إصدار الفعل . ولذلك تعين أن يكون له قوة خاصة تصدر عنها الحركة وهي ما سماه مين دي بران (*Main de Biran*) « بالملكة الفعالة » غير أن في هذين الزعمين غلواً ظاهراً . أولاً أن بين المعنى والفعل لا يوجد ملكة خاصة ومن العبث محاولة ادعاء ذلك . نعم لا يفهم كيف أن التصور يوجد الفعل ولكننا نقول بذلك أذ تدل التجربة عليه . ثانياً ليس من الصواب القول بأن مكان الإرادة بين أدراك المعنى وتحقيقه . إذاً هل لنا أن نقول بأن المعنى هو العلة الوحيدة للفعل وشرط كاف لتحقيقه ؟ من قال ذلك فقد نسي أن دخول الإرادة لازم عند انتخاب معنى من بين جملة معان . هذا العمل الذي لا يمكن تحليل عناصره به يتخير الإنسان طريقاً دون طريق وعملاً دون عمل : فالعزم شيء جديد بلا شك . لأن أدراك الممكنات المختلفة وتفضيل أحدها على الآخر شيء والعزم أي إخراجها إلى حيز الفعل شيء آخر . ليست النية من قبيل القوة المدركة بل تأتي من الإرادة نفسها فصدر عنها أنه المعنى ولو تقرر في نفس الإنسان بإصداره عقبات دائماً تعيق ظهوره وحينئذ يظهر وجه الحاجة إلى توسط الإرادة وتعريضها له ولا تفارقه حتى يتم الغرض منه . وبالجمله فإن الإرادة بها عناصر أدراكية حقيقية تزيد في قوتها

النظرية الثانية — وتسمى نظرية الحسين يرجع أصحاب هذا

المذهب الارادة إلى الشوق والرغبة . كل فعل أرادى يظهر في جملة من العناصر الشهوية . أى أن مشاورة النفس تقع بين عدة رغبات فلم لا يقال أن كل رغبة هي في الحقيقة ميل إلى الفعل ؟ وأن المشاورة هي جهاد بين هذه الرغبات حتى تفوز أحداها على سائرها ؛ ففى تم العزم يتحقق الفعل . وبذلك لا تكون الارادة ألا فوزاً لرغبة على باقى الرغبات

النظرية الثالثة — النظرية الفسولوجية للارادة — قلنا فيما تقدم إن الأفعال الحيوية بدأت بالأفعال القسرية ثم منها إلى الأفعال الغريزية ثم إلى الأفعال الارادية كأن هذه الأفعال على ما يظهر ترتقى شيئاً فشيئاً متميزة عن بعضها لا بتركيبها فقط بل أيضاً بالعناصر الجديدة الداخلة عليها . لانه الفعل القسرى هو فقده الشعور المحض . والغريزة فجر الإدراك . والارادة وصول النشاط إلى درجات المعرفة الذاتية . والتفتح لقبول الحرية . ولكن العلم يميل إلى رد الاعلى إلى ما هو أخط منه . فقد رأينا كيف حاول رد الفعل الغريزى إلى الفعل القسرى فما ادرانا أن الارادة ليست ألا صورة راقية من الغريزة أعنى فعلاً قسرياً محضاً فى النهاية ؛ هذا الفعل القسرى عبارة عن رد فعل بسيط بلا واسطة لتنبيه واحد . ولكن إذا فرضنا وجود عدة تنبيهات فى آن واحد فأن رد الفعل يبطل طبعاً ويكون غير محدود ولا متعين . وفعلاً تدخل هذه التنبيهات فى نزاع وجهاد مع بعضها بعضاً فتتجاذب الانسان بينها فى جهات مختلفة فيستمر التذبذب ولا يتم رد الفعل حتى تفوز إحدى هذه التنبيهات أو التشنجات على غيرها وهذه هي طريقة تكوين الارادة فتنازع تلك

التشنجات المتضادة والتردد الحاصل بسببها في الوجدان وهو ما يسمى « بمشاوره النفس » أو « حديث النفس » كما أن فوز التنبيه الأقوى وانتهاء التوازن بين هذه التنبيهات كلها هو المعبر عنه « بالنية »

وتنازع التنبيهات وفوز أحدها على الآخر لا يختلف عندهم عن مجموع التنبيهات المكونة لما يسمى « بالآنية » ولذلك قالوا أن لكل إنسان عزمًا في الأمور يخالف عزم الآخر . ولكل تصرفات ذات لون شخصي يغير ما لتصرفات الغير . من ذلك يعلم معنى الإرادة عندهم أي أنها ملكة حقيقية أو قوة فعالة أي علة . على أنها في الحقيقة لم تكن إلا « نتيجة » أو هي أثر باطني لنزاع حصل بالمنع

العزم — تختلف الإرادة عند الناس اختلافًا جوهريًا . ومع أن الاختيار حاصل لدى كل إنسان فإنك ترى هذا لا إرادة له يسير طوع إرادة من حوله وذلك ضعيفها تتجاذبه آراء مشيريه والرأي عنده لآخر من يتكلم وآخر طائشًا غير مقدر للعواقب لأنه عديم الجلد والنظر الصائب وآخر مترددًا حيران يخيفه العمل . إذ ينقصه الثبات والشجاعة ، فقوة الإرادة ليست واحدة لدى الأفراد

مثل هؤلاء ليسوا « بآنية » ولكنهم أنيات متعددة

والعزم هو مجموع المواهب المكتسبة وقد صُبَّت على المواهب الفطرية . فتجمل للإنسان من الوجهة الخلقية طابعًا خاصًا . ولكن العزم لا يوجد لدى كل إنسان قال (كُنْتُ) : الرجل ذو العزم يملك لنفسه مبادئ عملية مقررّة واضحة . تكون قاعدة لسلوكه ولا يتحول عنها

فشرائط العزم (اعتقاد ثابت وإرادة قوية) للعمل به فمن ملك إرادة قوية ونقصته المبادئ كانت أعماله متناقضة لا تناسب بينها وخلت تصرفاته من النظر المنطقي ووحدة الاتجاه ومن كان له اعتقاد خاص ومبادئ ثابتة ولكنه يُخفيها ولا يجسر على أبدائها فليس برجل عزم كذلك أن حياة الرجل ذي العزم ككل عمل من الأعمال الفنية كل جزء من أجزائه يرمى لغاية ويربطها كلها معنى واحد لا ينفع شرط من هذين الشرطين بغير الآخر. وحقاً أن العمل بالنسبة للرأى أو العقيدة مظهرها وحياتها^(١)

الحرية النفسية أو الاختيار

الحرية على أنواع: الحرية الطبيعية، والحرية المدنية، والحرية السياسية والحرية الداخلية أو النفسية، فالحرية الطبيعية للإنسان هي حق اخراج مقاصد الإرادة إلى الوجود الحسى، وهذه القوة محدودة غير مطلقة، يحدّها طبيعاً الضعف الإنسانى والقوانين، فالمرضى والعاجز والمسجون غير متمتعين بحريتهم الطبيعية. أما الصحيح فيأكل ويشرب ويمشى ويعمل ويستريح ويتعلم ويعلم ما شاء ضمن دائرة القوانين

والحرية المدنية أو الاجتماعية هي حق تمتع الإنسان ببعض حقوق ضرورية للطبيعة البشرية مثل حق انتخاب الصناعة التي يريد أن يشتغل بها الإنسان وحق التعليم وحق التملك وحق النازل عما يملك بالبيع والمعاوضة والهبة

(١) العزم توطين النفس على أحد الأمرين . ويتقوى العزم شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى درجة الجزم (شرح المواقف)

والوصية وغير ذلك وهذه القوة محدودة ومبينة في القوانين والنظامات الموضوعة للمصلحة العامة — فليس المحجور عليه والقاصر أن يمتعا بها فهما ممنوعان من الحرية المدنية

والحرية السياسية هي حق الاشتراك مع الحكومة في الأعمال العمومية مثل حق الانتخاب ، وحق العضوية في المجالس العمومية، وحق الاشتراك في المداولات العامة ، وحق المراقبة على تصرفات السلطة العمومية وحق أبداء الرغبات ونحوها ، وهذه الحرية محدودة ومبينة في القوانين الدستورية وترى فيها الأجنبي والقاصر محرومين من هذه الحقوق السياسية والحرية الداخلية أو النفسية هي حق للإنسان في تحقيق مشيئته وهي موضوع كتابنا هذا وتسمى هذه الحرية أيضاً بالحرية الأدبية أو الأخلاقية أو الاختيار كلما كانت مباحثها خاصة بالنظام الأخلاقي

وكمال الحرية الأخلاقية ينحصر في الاختيار بين أفعال الخير المتعددة فالحر هو الذي يفعل الواجب ولا يقصد إلا ما هو خليق بصفة النطق التي ميزته عن غيره من الحيوان . وكلما كان الإنسان فاضلاً كان حرّاً؛ لأن فعل الشر لا يتفق مع روح الحرية بل فيه إساءة إلى الحرية نفسها . والحرية الحقيقية ما كانت ضمن دائرة الشرف والخير وأن علم الأخلاق يعلمنا كيف نعيش عيشة الخيرين بحسن استعمال قوة الاختيار في أنفسنا والأنسان ممالك أفعاله متى كان ذا رشد وعقل بشهادة الوجدان والأحوال البشرية وما يترتب على سلب الاختيار من التناقض

شهادة الوجدان — من قرارات الوجدان نوقن أننا أحرار في

جميع أفعالنا — سواء قبل الفعل أو بعده أو في اثناؤه ؛ وذلك لما لنا من حرية النظر في أسباب كل فعل نريد أن نأتيه ووزن المصلحة التي تعود علينا من فعله والأمتناع عنه بميزان التعقل والتروى ولما لنا من الحرية التامة في اتمام الفعل والأنصراف عنه ؛ وكذلك إذا ما تم شعُرنا بأرتياح الضمير أو تبكيتته إن أحسنّا أو أسأنا كل ذلك مقتضاه أن الإنسان حرية تامة قال الشهير بوسويه كل منا يصغي لصوت قلبه ويستشير نفسه ويشعر أنه حرّ الإرادة بقدر ما يشعر أنه إنسان عاقل . اهـ

شهادة الأحوال البشرية — كل ما عليه الأمم على اختلاف بقاعها وصيغتها يُحدّث بأعتقادها الحرية النفسية ، لأن وضع القوانين والشرائع وأنشاء المحاكم وتقرير الثواب والعقاب ليس له معنى آخر غير الأعتقاد بحرية الإنسان واختياره في جميع أفعاله

كل قول بسبب الاختيار كان ولا يزال قولاً نظرياً لم يقم عليه دليل في أية شريعة من الشرائع

وإلا إذا قلنا أن الإنسان مجبور في أفعاله مسير في طريقه لما خلق الله العقل للإنسان ولا هداه النجدين فأما شاكراً وأما كفوراً ولا كان هناك موجب لتنزيل الشرائع ولا موجب لتقرير الأنظمة العمرانية ولا معنى للخير والشر ولا للثواب والعقاب

تأثير ملكات النفس بعضها في بعض

عرفنا مما سبق أن ملكات النفس وأن كانت مختلفة إلا أنها غير منفصلة عن بعضها وسنبين الآن كيف يكون تأثير بعضها في بعض وامتزاجها أيضاً

اشترك الوجدان — انا لا ندرك ظواهر الحساسية والقوة المدركة والأرادة حتى نعرفها ولا يمكننا معرفتها الا بفعل الوجدان كما تقدم اذا فالوجدان مشترك مع جميع الملكات المختلفة فهو ركن من اركانها

تأثير الحساسية — أولاً تأثيرها في القوة المدركة : لا شك أن ما يعرض لنا من مسرات وآلام يشغل من أفكارنا جانباً عظيماً لان أسهل ما يعي الإنسان ويحفظه ما يختص بشأنه. أما انفعالات الحس الشديدة المتوالية الدائمة فأنها تؤثر في القوة المدركة فتضعفها وتطفئ منها القريحة وقد نمت الذهن احياناً فيصبح صاحبه أبله ضعيف القوى العقلية

ثانياً — تأثيرها في الارادة — تدفع انفعالات الحس الارادة فتخرجها من مكنها وهو سر أتيان عظام الأمور متى وافقت ميول النفس وهوها عند أهل الارادة . فالرجل عديم الأحساس لا يقوى على النهوض بأعباء الشجاعة والفضيلة وأما الرجل ذو الشعور الذي يحس ويألم بسهولة فقد يذهب بعيداً بأمر الخير أو الشر على السواء

تأثير القوة المدركة — أولاً تأثيرها في الحساسية : لما كان مصدر الحس هم الإدراك والفكر كان لثقف العقل دخل كبير في تخفيف حالات

الحس بتفريج الهموم والاستبشار وحسن التفاؤل وفسحة الأمل
ثانياً — تأثيرها في الإرادة — : للقوة المدركة غلبة على الإرادة لأنها
لا تبرز إلا بأسباب يهبأها العقل ويمحصها قبلاً فلا يقع الاختيار والإرادة
على شئ حتى تعرفه حق المعرفة

تأثير الإرادة — أولاً تأثيرها في الحساسية — : للإرادة غلبة أيضاً
على الحس فتحوله عن مجراه وتضبط من حدته فيمكنها أن تخفف من
حالات القلب كالجزع والضجر والغضب والكراهة والمحبة والأبتعاد عن
المناظر التي تؤثر في القلب وتزيد في الأفعالات النفسية وقد تحكم في
العواطف والشهوات

ومما شوهه ودلت عليه التجربة أن الإرادة متى أمكنها أن تقف
حائلاً بيننا وبين ما نحب وتكرهنا على فعل ما لا نحب افضى ذلك الى
تقويم العواطف وتهذيبها

ثانياً تأثيرها في القوة المدركة — تتمزج الإرادة بالقوة المدركة في
حالة الانتباه كما قدمنا وفيها يُسيّر الانتباه الفكر ويقوده — ولذلك كان
الإنسان مسؤولاً عن آرائه بقدر ما وجهه اليها الانتباه

أن ما يرد على فكر الإنسان عن طريق الحس الظاهر وتداعى المعانى
(كما قدمنا) إنما يرد على الفكر مشتملاً مختلطاً إذا لم تتعهد الإرادة ؛ ولذلك
كان من وظيفة الإرادة تمحيص هذه الأفكار للعمل على ما فيه الفائدة
والخير فهي دائماً في نزاع وجدال مستمر ما دامت الحياة البشرية

(قال مالبرنش) أن جميع ما كانتا مرتبطة بعضها ببعض . وتأثيرها

فى بعضها ظاهر للعيان حتى ان ما يزيد فى قوة ملكة واحدة يزيد قوى الملكات الأخرى وما يضعفها يضعف سائرهما

المعوقات بين الجسم والنفس

فما تقدم درسنا الوجدان من حيث هو حقيقة قائمة بذاتها مستقلة عن غيرها . وفى الواقع أن الوجدان مرتبط تمام الارتباط بتركيب الجسم الانسانى . فالحياة الروحية والحياة الفلسوفية يؤثر كل منهما فى الآخر بمعنى أن الجسم تتوقف حياته على النفس وكذلك النفس تتوقف حياتها على الجسم . هذا ما يسمونه بمسألة علاقات الجسم بالنفس وهى مما يدخل تحت الأبحاث التجريبية البحتة لذلك لا يبحث فيها عما إذا كان تحت الحوادث العارضية لكل منهما جوهران أو جوهر واحد وأنه جوهر مادي كما يقول الماديون أو جوهر روحاني كما يقول الروحانيون . أو أن المادة والروح ليسا من جوهرين متغايرين لكنهما وجهان لجوهر واحد لا يدرك فى ذاته كما يقول اصحاب مذهب وحدة الوجود . لأن كل ذلك من خصائص علم ما بعد الطبيعة كما ستراد . وسنقتصر هنا على بيان أحوال تعلق النفس بالجسم وأحوال تعلق الجسم بالنفس لنثبت بأجلى عبارة أنه اذا كانت أثر تركيب الجسم فى الوجدان لا شك فيه فان للوجدان أثراً واضحاً فى الجسم لا تقل عن أثره فيه

أهوال تملأ النفس بالجسم

الوجدان وتركيب الجسم — أن تلازم الحياة الروحية والحياة
الفسلوجية يظهر بادیء بدء من هذا الناموس العام القائل بأن الوجدان
لا يكون له وجود الا حيث تتحقق بعض شرائط فسلوجية . وفي الواقع
نرى من الوجدان صورة معقدة للحياة الجسمية . فقد دلت التجارب
على أنه متلبس بالتركيب الجسماني على كل حال . ونحن لسنا عقولا محضاً
بل الإنسان « كل طبيعي » كما قال بوسويه نصفه جسماني ونصفه روحاني
وكذلك يلاحظ بالمقارنة بين أفراد الحيوان من الإنسان الى احط درجات
الحيوانية ذات المجموع العصبي أن للوجدان وجوداً حقيقياً متفاوتة درجاته
يأخذ في الأضمحلال حتى يكاد يكون عدماً وبالجملة يقول العلم التجريبي
أن لا حرج علينا أن نقول بأن الحياة الروحية لا توجد الا حيث يوجد
المجموع العصبي

القوة المدركة والمخ — قلنا فيما سبق أن كل إحساس ينشأ من
تنويع في المخ بحسب طبيعة العصب الواقع فيه التأثير الخارجي وقد توصل
العلم الى تحديد المراكز العصبية الخاصة بكل نوع من أنواع الأحساس .
والى رد قوتي الذاكرة وتداعى المعاني الى أمور فسلوجية . والى حصر قوى
الذهن المختلفة في اجزاء معينة من المخ . وشوهدت علاقات غريبة في
ذاتها بين نمو المخ وقوة الفكر . وأن كل اختلال في كيان المخ يؤدي حتماً
الى اختلال العقل . وقد دلت التجارب الطبية ايضاً على أن المادة السنجابية

الموجودة على سطح المخ مصدر الأفكار ، وأنها عند الحيوان أقل مما في
الإنسان على قدر ما بينهما من التفاوت

الحساسية والارادة وعلاقتهما بتركيب الجسم — هاتان القوتان
كالقوة المدركة لهما ارتباط أيضاً بحالة المجموع العصبي وسنبين فيما يأتي
تأثير المزاج في الأنفعالات والميول ؛ فقوة تركيب الجسم وسلامته من
أسباب انشراح الصدر وارتياح النفس ومن الأسباب التي تهىء النفس
الى شهوات خاصته . وبالعكس كل ما يضعف الجسم يؤدي الى التهييج
العصبي وحدة المزاج والخلل العقلي والتطير واختناق الرحم عند النساء
(المستريا) ويحدث فساداً مختلف الدرجات في الأذواق والمواطف . وفي
المخ مراكز مخصوصة اذا أصابها الأذى أفضت الى شلل الحركات الارادية
والسكون والاندفاع من نتائج الاضطراب العصبي أيضاً . كل هذه الأمراض
دليل واضح على وجود علاقة مؤكدة بين الإرادة وحالة المجموع العصبي
تأثير السن — في سن الطفولة يكون المجموع العصبي عند الإنسان
حاداً متنبهاً جداً . والتأثيرات شديدة الفعل والعادات سهلة الانطباع ،
لان الطفل في هذه السن لا يملك غير ملكة الحس

فالحس عنده يكاد يكون مادياً مظهره الجسم وحركات الاعضاء
ووظائف الحياة الحيوانية . ومتى بلغ سن الرابعة الى الخامسة يبدأ في
التعقل والفهم على أول درجاته . ومن ذلك الحين يمكن التأثير فيه بفعل
من الافعال العقلية بلا توسط المشاعر مباشرة . إذ تظهر فيه العواطف
المختلفة كالحب والبغض ومعرفة الخير والشر

أما في سن المراهقة فيكون المجموع العصبي قد بلغ أشده . وكذلك العضلات . فترى فيه حدة الميل مع عدم الثبات عليه . وتحكم الإرادة مع سرعة القلب . وحقاً أن الشباب يطبع في الإنسان الكبرياء والتحكم فيعيش مملوءاً آمالاً وأطماعاً لا حدَّ لها . ويحتقر الغنى ويقدم الشرف على المصلحة ويحكم عواطفه على عقله في غالب أقواله وأفعاله

وفي سن الكهولة تبطؤ في الإنسان الحركات الحيوية . وتزول منه الثقة العمياء ويحل محلها التفحظ والتعقل فاذا عرض أمر فحسه فحساً ذاتياً لتعرف الحقيقة موفقاً بين الشرف والمصلحة معاً

أما في سن الشيخوخة . فتهدأ الوظائف العضوية وتعطب وتضعف الملكات العقلية وتنضب ويشتد الحذر ويكون من أخص صفات الإنسان الخوف والاحتراس فلا يجزم بشئ مطلقاً وتؤثر التغيرات الناشئة من تقدم السن في حالته الجسمية والادبية بمقدار واحد

وبجانب تأثير السن يوجد تأثير النوع -- تفوق المرأة الرجل في كل ماله مساس بالعواطف والحياة القلبية والتخيل ويتفوق هو عليها فيما يتعلق بالقوة المدركة وحياة الفكر والعقل -- والمرأة تقنع مع الارتياح بالشرح والتفصيل وبالمحسوس . والرجل ذهنه منطقي يسبح بسهولة في المعنويات وعند المرأة تعمل الإرادة . ولكن في الباطن على الأخص وفي المرأة هدوء وحنان . وعند الرجل تتحول الإرادة غالباً الى الخارج وتكون عدوانية . قليلة الأناة

تأثير المزاج في العزم -- قسم أبقراط الحكيم اليوناني الأمزجة الى

أربعة وهى المزاج الدموى والعصبى والصفراوى والبنفاوى . ولكل منها تصرفات أخلاقية خاصة به . فالدموى سهل الانفعال وأن كانت تلك الانفعالات غالبها ظاهرية تزول بعد . نراه دائماً منشرح الصدر . مستبشراً فرحاً . لا يعرف التطير . سريع الوعد قليل الوفاء . وذو المزاج العصبى نراه كالحزين أو كمن فى ضيق . يخرج عن حد الاعتدال بأقل الأسباب سبب الظن متطير ينفعل بسرعة ثم نراه ينتقل من انفعال لآخر يخالفه بالمرّة . وذو المزاج الصفراوى يكون فى إرادته قوة وحاسة أكثر من أصحاب المزاجين السابقين . وترى شهواته موجهة الى اغراض محدودة . شديد الحقد . سريع الغضب . وقد يذهب ببغضه بعيداً حتى الضرب واللكم

أما ذو المزاج البنفاوى فيكون كثير التروى حايماً ذا ثبات وقد يتجاوز حايته طبيعة الحلم المألوف فيشتبه أمره بما يسمونه بالحمول وعدم الاكتراب ومهما قيل فى قيمة هذا التقسيم فانه دلالة واضحة على وجود علاقة بين طبيعة تركيب الجسم والتصرفات الأخلاقية .

تأثير نظام المعيشة — قلة الغذاء أو الجوع يشلّ قوة الذاكرة وقد يذهب بها . والجوع الشديد يورث ضعف العقل ويميت الإرادة . ويدفع الانسان الى الغلظة والشدة . وأرضاء الشهوات الجسمانية يضاعف الشهوات المضرة . وتقتل الفكر وتخمد العزيمة . وكذا الافراط فى تناول بعض الجواهر يخل الحياة الروحية مثل المسكرات والافيون والمرفين وغيرها هذه

كلها يضطرب معها نظام التخيل وطبيعة العواطف وتؤثر بالوراثة في النسل والذرية

تأثير الصحة والمرض — صحة الجسم تؤدي الى حسن نظام جميع القوى والملكات للحياة الروحية أما الامراض فتتسبب عنها كل اضطراب في هذه الحياة وأنتك لتجد لكل مرض أثراً ظاهراً في تصرفات الانسان الاخلاقية فمثلاً أمراض المعدة تورث ضيق الخلق وقلة الكلام وامراض الكبد تورث الحدة والحقد . والامراض العصبية تورث ضعف العقل والهذيان والجنون وهكذا

« فالنفس كما قال (لايبنتز) — مرآة الجسم » وبالحرى تكون مرآة العالم بأسره . غير ان ذلك لا يكون صحيحاً على إطلاقه لانه يوجد بين الحياة الروحية والحياة الجسمية بعض فروق لا تتناسب مع ما ذكرناه آنفاً : مثلاً نرى بعضاً من ذوى العزائم القوية على حين ترى اجسامهم ضئيلة منهوكة . أو من ذوى القرائح الذكية مع أن في تركيب اجسامهم نقصاً أو تشويهاً أو يكون المنح أصغر حجماً من حجمه المعروف وقد يكون اكبر حجماً وصاحبه أبله ناقص العقل وهكذا ولكن كل ذلك شواذ

أما القاعدة فهي ان القوى الجسمية بلا شك هي المعينة الطبيعية للقوى الروحية كما ان القوى الروحية لها تأثير محقق في القوى الجسمية . مما يدل عل أن الوجدان هو مصدر الحياة

أحوال تعلق الجسم بالنفس

تأثير الانفعالات — للنفس تأثير عظيم في الجسم يظهر عند الانفعالات النفسية سواء أكانت مؤلمة أو سارة. يتضح ذلك من مشاهدة الحركات الاعتيادية للحزن أو السرور كالبكاء وإشارات الجزع والندم والضحك وإشارات الفرح والارتياح وغير ذلك فقد يموت أو يجن المرء من شدة الحزن أو الفرح على حد سواء أو يقع في مرض من الأمراض بسببها. أو يفقد شهية الأكل أو الشرب وتضطرب أعضاء الهضم عنده ما يضطرب القلب فيعمل وجهه احمرار أو اصفرار

تأثير الأفكار — للأمور العقلية أيضاً تأثير في الجسم شبيه بتأثير الانفعالات فقد قيل بحق أن كل صورة أو كل معنى قوة في ذاته. وفي الواقع أن مثل هذه العناصر لم تكن بالأشياء العقيمة بل هي ميول تتطلب تحقيق وجودها الخاص وفكرة أى عمل هي توجه يدفع الإنسان إلى هذا العمل أو بالحرى هو البدء في العمل ذاته — فمثلاً فكرة الخروج للتريض في الخلوات هي بناء على ذلك إتمام فعل الرياضة في المنح نفسه لأن الخلايا العصبية تنفذ فعلاً بعض حركات معينة عند حدوث الفكرة، وبهذه الكيفية تتم عملية غريزة التقليد. فان مجرد ادراك الفعل والميل إلى إتمامه أو محاكاته شيء واحد. أى أن الحركات الخفية تتم قبل الحركات الخارجية وبالتطبيق لها. وفكرة التأثب تجلب التأثب. وفكرة الخوف تسبب دواراً يؤدي إلى الوقوع من مرتفع أو في هاوية. وفكرة تناول مسهل

قد تفعل مفعول المسهل ذاته . والاعتقاد في دواء أو مهارة طبيب قد تكون سبباً في شفاء المريض أو تخفيف آلامه . والفكرة في الخلاء تسيل اللعاب كما أن المادة الحريفة تهيج الشعور وهكذا . ومن ذلك تأثير الأفكار في التنويم المغناطيسى فإن الوهم ينم الشخص ويجعله تحت سلطان المنوم كما سيجى

والارادة تأثير أيضاً في ذلك بمنع بعض الحركات أو تحقيق بعض الأفكار . وكذلك للعادة تأثير ظاهر في تركيب الجسم فتترك فيه أثراً وقتياً أو مستديماً . لأن الميول الباطنية للوجدان تتم عليها الحالات الوقتية أو الحالات المستديمة وهى الملامح . كما يعرف المنافق أو الكاذب من عينيه وكما تدل سحنة الرجل على صناعته فإنه من السهل معرفة رجال الجندية والموسيقى أو رجال المعمار وغيرهم

تأثير الشغل العقلى — لا شك ان عمل الذهن يزيد في ارتفاع درجة حرارة الرأس ويتمب المنخ والاجهاد العقلى يضنى الجسم ويؤثر في الحياة النفسولوجية فيولد الانيميا (فقر الدم) والحميات . وكثيراً ما يؤدى الى الجنون

في احوال مخصوصة للنفس والجسم

ان الارتباط المتين بين الجسم والنفس يفسر لنا بعض احوال مخصوصة غير عادية ذات حركة آلية نفسية مثل النوم والأحلام واليقظة النومية والخرف والبله والجنون

النوم — هو نمود دورى يعترى بعض الوظائف الحيوية والنفسية

(كالتحرك والحواس والادراك) وهذه الظاهرة الفريية توقف أو تضعف الارادة والحرية فتجعل الانسان لا يدري ما يفعل ولا يميز بين الخير والشر وما يجب وما لا يجب

والنوم من ضرورات الحياة العضوية بما يمتري حركة المجموع العصبي من الكلال والذهن أو الجسم من التعب بفعل التغذية وتأثير البرد والحر أو صوت راتب أى على نسق واحد مستمر واقتراب الليل وغير ذلك - ومما يطرد الكرى أو يؤخره عن وقته البحث والمطالعة والمسامرة واللعب والمناظر الملهية أى كل ما من شأنه أن يوقظ الادراك ويهيج الحساسية وتختلف الأحوال النفسية والفسلوجية للنوم باختلاف درجة الحمود ان كان خفيفاً أو شديداً

الأحلام - الحلم هو تداعى الممانى أو الصور الخاصة بحالة النوم - هذه الممانى أو الصور الغريبة المتباينة الشاردة المشتته تتوهمها وقائع صحيحة وتخالها حقائق وهى خيالات

والأحلام ليست الا صدى ما يشغلنا فى اليقظة ويؤثر فى احوالنا النفسية كالخزن والآمال والخوف والأمراض والتعب ووضع الجسم أثناء النوم - واذا استمرت الأحلام طول مدة النوم كان ذلك دليلاً على فقدان الراحة التامة للنفس والجسم

اليقظة النومية والتنويم المغناطيسى - اليقظة النومية هى نوم غير تام تبقى فيه حركة النفس حافظة لحالتها الطبيعية بل قد تزيد تلك الحركة عن اعتيادها لذلك يمشى النائم اليقظان كما يمشى فى اليقظة التامة وتعمل

حواسه تماماً وتصدر عنه الأفكار مرتبة ترتيباً منطقياً وقد يتوصل الى محادثة الغير بشرط أن يكون موضوع الحديث نفس الوسواس التي تشغله عادة واليقظة النومية هي حلم عملي — أى حلم يشخصه النائم بحركات وأقوال لا يعرفها ولا يذكرها عند اليقظة

وهذا النوم الغريب يحصل بالتأثيرات المغناطيسية الحادثة من نظرة حادة من الشخص المنوم أو بمجرد ارادته — وقد يحصل التنويم بوضع شيء لاعم كالمرآة قرب العينين وإطالة النظر فيه

وللتنويم المغناطيسى أخطار لأن أثره واقع على المجموع العصبى تأثيراً فجائياً فيحدث فيه أحياناً اضطراباً لا تشفى وكل تجارب التنويم تضر بالجسم المنوم وقد تحدث الوفاة عند الأشخاص الذين لديهم استعداد للزيف المخى أو ضعف فى القلب — ويبقى المنوم تحت تأثير المنوم فيأتمر بأمره وينتهى بنواهيه حتى فى اليقظة فينفذ ما يأمره به فى نومه بعد يقظته وقد شوهد أن أناساً من هؤلاء ارتكبوا جرائم بعد بضعة أشهر بغير أسباب ظاهرة أما الخرف فهو مرض فى العقل يجعل صاحبه يرى أشياء ويسمع أصواتاً وفى الحقيقة لا شيء ولا صوت وأسبابه اضطراب مخى قد ينتهى الى الجنون اذا زادت درجته وكذلك الجنون هو اضطراب جزئى أو كلّى فى القوى النفسية فتكون قوة التخيل غير منظمة أو ليس لها ضابط من العقل والارادة وينشأ من عدم نظام الجسم أو النفس على أثر الافراط فى المسكرات وسوء السلوك والفزع الفجائى وشدة الغضب والحزن الشديد . أو أى تأثير يصيب المخ بأذى أو يحدث فيه التهاباً

والبله هو ضعف الملكات العقلية وينشأ من نقص في المنع
فهذه الاحوال غير المادية كلها واضحة على ما سبق بيانه وهي شدة
الارتباط بين الجسم والنفس
واذا صح القول بأن الانسان عبد شهواته فالانسان أيضاً عبد أعضائه
لأنها تسترقه حسب نقصها أو كمالها

﴿ الشبه بين الحيوان والانسان ﴾

للحيوان أعضاء حساسة كما عند الانسان ووجود هذه الاعضاء
يستلزم وجود ملكات الحساسية المادية مثلاً بدليل ما يديه من الحركات
والاصوات وظهور بعض العواطف الشبيهة بالعواطف الانسانية عند بعض
الحيوانات كمحبتها لصفارها والدفاع عنها والغضب والحقد والفرح
والسرور بحسب ما يظهر لها من حسن المعاملة أو سوءها
والحيوان أيضاً أنواع من الادراك ولكنه أخط مما عند
الانسان بكثير:

- (١) كالادراك الظاهري فانه يرى ويسمع ويشم ويدوق ، وكالادراك
الباطني فانه يعرف ما يقع عليه ويتأثر به
- (٢) وكذلك الأمور المادية فانه يعرف الأماكن والأشخاص والأشياء
- (٣) التخيل المنتج كبقاء الصور المادية التي يراها في مخيلته وتذكرها
عند الحاجة بطريقة اشتراك الخواطر فمثلاً يمكن منع الكلب أن يمس
شيئاً من الماء كولات يجعله يذكر ما يلحق به من الضرب اذا هو خالف

ويسمى الحيوان بحركة ارادية لأنه يتصل بغيره من الحيوانات الأخرى ويسمى للبحث عن قوته ويعمل كل الحركات التي مصدرها الغريزة والعادة عنده - وذلك مما يبطل القول بأن الحيوان ليست له ارادة بالمرّة وان هو الا آلة يمش ويتحرك كما تتحرك الآلات الميكانيكية وهو مذهب الشهير (ديكارت)

الفرق بين الحيوان والانسان

ليس للحيوان قوة الادراك الحقيقي كما عند الانسان ولا الملكات التي تتعلق بها - خلق وليس يعرف المعاني المجردة ولا العامة ولا يدرك معنى الحقيقة ولا الجمال ولا الخير - مجرداً عن قوة الحكم والقياس لأنه ليس في مقدوره التأمل والتفكير وألاً لشاهدنا في الحيوان قوة الاختراع والرقى الاجتماعى، على أن كل أنواع الحيوان على ما هي عليه من عهد خلقها الى اليوم كما قال الشهير (يوسويه)

نفس الحيوان - يقول الفلاسفة ان الحيوان مهما كان ناقص التركيب فان له نفساً وهذه النفس بسيطة لا تتجزأ ذات معرفة وعواطف ولكنها مجردة من صفى الروحانية والخلود

أما روحانية النفس فخواصها التأمل والعقل والحرية الأدبية (الاختيار) ولما كان الحيوان لا يعمل ولا يتأمل ولا يعز بين الحق والباطل ولا بين العدل والظلم فهو لذلك لا يستل عما يفعل لأنه يسير بغير ارادة عاقلة -

كانت نفسه روحاً منحطاً أى لا توجد بغير الجسم فهى (نفس حسية)^(١)
أما خلود النفس فيتعلق بما تهيات له بأصل خلقها وسمو ملكاتها ورغائتها
وليس فى الحيوان ولا فى ملكاته وما تصبو اليه نفسه ما يتحقق معه معنى
الخلود كما فى الانسان

﴿ الأنية والغيرية ﴾

(le moi et le non-moi)

قد تسمى النفس فى علم الفلسفة بالأنية أحياناً لأنه بالرغم من تغير
الجسم المستمر تبقى الأنية نفسها واحدة لا تتبدل . أما الأنية على المصطلح
الخاص فهى ما يعبر به عن وحدة الشخص البشرى : فالأنية هى اتحاد
النفس والجسم اتحاداً جوهرياً يكون ما يعرف بالكائن الانسانى أو
الكائن البشرى

كيف عرفت الأنية ؟ متى راجع الانسان نفسه بالتأمل والفكر
فأول ما يدرك سلسلة من الحالات المختلفة الطبائع مثل انفعالات وخواطر
وأفكار تتعاقب وتتكرر بلا انقطاع فهذا الجريان المتباين وهذا الاطراد
الحى هو أول مدركات الوجدان أى أول ما يدرك مباشرة . ومع ذلك
فإن من بين هذه الظواهر كلها نشعر بحقيقة دائمة نشعر بوجود مركز
تنبعث منه جميع هذه الظواهر على اختلافها وهو ثابت دائم وسط هذا
الجريان المتقلب وهو ما نسميه « بأنيتنا »

(١) لتمييزها عن النفس الناطقة وهى النفس البشرية

وفي الواقع ان تقلباتنا الباطنية التي ننسبها الى أُنيتنا ونعدها من حالاتها وتطورها الخاص تتميز عنها ولا تختلط بها لشعورنا بأن لها وجوداً حقيقياً وحقيقة ثابتة . فتي قلت — أحسن . فلست أنا ذلك الحس . بل ان شخصي يبقى مع زواله كما بقي مع زوال الحالات السابقة وكما سيبقى مع زوال الحالات المستقبلية

وبالجملة فالأنية تتمثل لنا عينا تفيض منها جميع الظواهر الباطنية ولكنها ليست تلك الظواهر بل هي شيء آخر يتميز عنها صفات الأنية — مما تقدم تعلم أن الأنية تظهر لنا أنها ذات صفات متباينة فهي وحدة وكثرة : وحدة لأنه لا يمكن قسمتها على الإطلاق كما تقسم الأشياء الخارجية مثل الحجر والخشب والحديد وغيرها وكثرة لاشتمالها على قوى مختلفة ووظائف متنوعة وخصوصاً اختلاف طبائع الحالات المكونة لحركتها وحياتها

تظهر لنا أن لها ذاتية واحدة وأنها متنوعة دائماً أما كون ذاتها واحدة فلا ننا لا نعمل إلا مع أنية واحدة هي بعينها في الحال والماضي والمستقبل لذلك يمكننا أن نتذكر ما مضى ولو كانت غيرها لاستحالت تلك الذكرى وأما كونها متنوعة دائماً فلأنها ليست بشيء معدوم الحياة بل هي كائن حي يتفتح مع الوقت كما تتفتح أكام الزهر وتتلون بأزهى الألوان وتري الظواهر النفسية تتجدد وتتغير بلا وقوف ولا انقطاع . ولا تجدد لأنية متجانسة في زمنين مختلفين . ولذلك قالوا ان الوجدان اذا وقف غيره انتهى وجوده

وتظهر الأنية لنا أنها وقتية ودائمة : أما كونها وقتية فلأن كل حالة أو ظاهرة من ظواهرها سرعان ما تظهر ثم تختفي ويعقبها حالات أخرى وقتية كذلك . من ذلك قالوا ان الأنية في صيرورة دائمة . وأما كونها دائمة فلأنها تبقى حقيقة دائمة وأبداً حتى وسط هذه الصيرورة الدائمة فهي لا تموت بزوال كل حالة ثم تحيا بظهور الحالة التالية لأنها ليست وجودات متتابعة وقتية . بل هي وجود دائم وفي هذا المعنى قالوا ان الأنية جوهر . أى حقيقة ثابتة مع توالى حالاتها وتغيرها كما علمت . وهو سر التناقض الذى نشاهده أيضاً

وللفلاسفة عدة نظريات في حقيقة الأنية أهمها اثنتان

النظرية الأولى يقول أصحابها ان الأنية حقيقة منفصلة تمام الانفصال عن الظواهر ولها صفات مخالفة لصفات الظواهر نفسها . والأنية وحدة والظواهر كثرة . والأنية واحدة في ذاتها والظواهر مختلفة بعضها عن بعض والأنية دائمة والظواهر وقتية

ولذلك كان الاختبار الباطنى مصدراً لطائفة من المعانى ذات الشأن التى عجزت عن بيانها المشاعر مثل معنى الجوهر ومعنى العلة ومعنى الغاية فالاختبار الظاهرى لا يوصلنا إلا الى ظواهر وقتية لأنه لا يواجهنا إلا بصفات محضة دون أن يعرفنا ان كان هناك وراء هذه الصفات حقيقة أم لا أما الاختبار الباطنى فقد عرفنا أن الأنية ذات وجود دائم توصلنا به الى معرفة التغيرات ومصدر هذه التغيرات الحقيقى

وكذلك معنى العلة فانه لا يمكن الوصول اليه من طريق الحواس لأنها لا توصلنا إلا الى الظواهر دون معرفة القوة الكافية لتوليد هذه الظواهر ولكن الأمر على خلاف ذلك فيما اذا رجعنا الى الاختبار الباطنى مثلاً اذا أردنا شيئاً فاننا نعمل مجهوداً يناسبه وعلى أثر هذا المجهود تحدث حركة في جسمنا نشعر بأن أرادتنا أو مجهودنا هو علة الحركة . وفوق ذلك فان الأنية حركة بذاتها ومنها مباشرة يكون شعورنا بالعلة

وكذلك معنى الغاية فاننا لم نعرفه من طريق الحواس لأنها لا توصلنا إلا الى معرفة أشياء وظواهر فحسب كما تقدم القول ؛ على أننا ما نفعل أمراً ولا نتحرك حركة إلا لنصيب بها غرضاً ما ، وذلك الغرض هو الغاية ، أما فعلنا فهو الوسطة إلا أن هذه النظرية أثارت اعتراضات عديدة — منها أننا لم نقف تماماً على حقيقة هذا الجوهر المدعى بأنه منفصل تماماً عن الظواهر . ومنها أننا متى أردنا ادراكه فانما ندرك ظاهرة مضافة لغيرها من الظواهر الأخرى . ومنها أن الأنية ليست إلا جوهرًا مجرداً أى ليست له صفة فردية خاصة . ومنها أن الادعاء بوجود جوهر مخالف تماماً للحالات والظواهر لا يكفي لأن يكون صلة بينها ولا يفسر لنا معنى وحدة الحياة الروحية فى الإنسان

النظرية الثانية — ينكر أصحابها وجود جوهر الأنية الموهوم ولا يعترفون إلا بالظواهر ويقولون ان الأنية هى مجموع حوادث أو ظواهر وينكرون القول بوحدة الأنية وذاتيتها واستقرارها باعتبار أنها أمور وهمية باطلة لا دليل عليها . ويقولون أننا لو أعربناها مثل هذه الصفات

فإنما نجد من الحوادث صفتها المشتركة وندعى أن هذه الصفة شيء
مخالف للحوادث نفسها

ويستند أصحاب هذا المذهب على نظرية « تعدد الشخصية أو تعدد
الوجدانات » المعروفة في (البتولوجيا) (علم علل الأمراض وأعراضها).
فإن المصاب بالمرض العصبي إذا حضره الدور انقلب شخصاً آخر تسمع منه
أقوالاً ويروى لك أخباراً أو قصصاً قد لا يعيها متى فارقه الدور العصبي
هذه الأحوال دليلهم على أن الأنية هي نتيجة العمل الميكانيكي للحس
وهي تتغير حتماً بتغير الحس نفسه

ويرد على أهل هذا المذهب (أولاً) أن رأيهم هذا لا يوصل إلى
وحدة الحياة الروحية (ثانياً) لا دليل مطلقاً يؤدي إلى تصور أن
الأنية مكونة من ذوات روحية مرصوصة لا ارتباط بينها (ثالثاً) من
المستحيل أن تكون الأنية سلسلة احساسات أو حالة مركبة منها لأن
كل سلسلة لا بد لها من رابط يربط اجزاءها المختلفة . وكل تركيب
لا بد له من قوة موحدة

وأما الحالات العصبية المقول عنها في علم البتولوجيا فهي فضلاً عن
كونها نظريات غير نهائية أي لم تثبت أنها قاطعة فإنها ضرب من العلل
النفسية التي تمنع الأنية من أن تتكون بنظام
حقيقة الأنية : —

أما حقيقة الأنية فهي ليست جوهرًا ولا هي مجرد مجموع ظواهر
نفسية بل الأنية هي قبل كل شيء « خاصية تأليف » (Activité de

(synthèse) هذه الخاصة تتسلط على التغيرات الباطنية المختلفة وتردها الى الوحدة اى الى حياة واحدة

والحياة العادية لا ترغب في الدرك الاسفل ولا يتيسر لها الصعود الى الملأ الأعلى . بل تتراوح بين هذين الحدين القصيين . فهي كما قال مين دى بيران (Maine de Biran) جهاد مستمر لتحقيق وحفظ الوحدة في هذه الكثرة (تعدد الحالات الباطنية) فكلمها كانت هذه الوحدة قوية كانت قوة التأليف متينة . وكانت القوى المعنوية منظمة وكانت الأنية مكونة تكويناً حقيقياً . فقد يوجد أناس ليست لهم انية محدودة بل لديهم عدة منها فتراهم تحت تأثير طائفة من الميول المتباينة المتضاربة تتسلط كل منها عليهم بالدور والمناوبة . ويوجد آخرون تكون القوة المؤلفة فيهم ضعيفة بسبب خصاصة النفس (La misère psychologique) فترى الظواهر النفسية المختلفة لا ضابط لها تتراكم كلها بغير نظام حول الحس الشخصى الواحد فتبقى هائلة مشتتة في معزل عن الأنية ومهددة بالانحلال

وفي الواقع ان للأنية درجات ومن الخطأ البين الاعتقاد بانها واحدة عند الأشخاص المختلفين بل تختلف فيهم باختلاف تركيب الحياة النفسية وقوة التماسك في بنيتها . ولذلك قالوا ان الأنية الحقيقية أى المكونة تكويناً تاماً خيال أكثر منها حقيقة

فالرجل ذو العزم « أنية » حيث تكون الحياة فيه شعرية ومثالاً عجباً في التعقل واصالة الرأي

وعلى كل حال فالأنية شيء على خطر التكوين لا شيء مكنون .
ولكل انسان ان يعمل فى تكوينها بالثبات والجهاد المستمر . فانه بقدر
امتلاكنا لخاصية قوانا الباطنية ننتظم ونسير نحو الغاية التى قصدناها .
وبقدر ما نستعمل عقولنا فى رفعة غايتنا نحو كرم النفس والنزاهة نكون
أنفسنا بأنفسنا ونخلق لها انية حقيقية

الغيرية — حالات الوجدان تشهد بوجود اختلاف جوهري بين
ادراك الأنية وادراك الغيرية فاننا اذا رجعنا الى ادراك حالاتنا الخاصة
بواسطة الحاسة الباطنية مثل اللذة والألم فاننا ندركها على أنها دون أن
نسندھا الى أسباب خارجية . ولكن اذا رجعنا الى ادراك الأشكال
والأحجام والحركات وغيرها من الموجودات الخارجية فاننا لا نظنها أبداً
من حالاتنا الخاصة بل نعتبرها أشياء خارجية عنا . مثلاً اذا أصاب أصبعك
وخز إبرة تدرك فى الحال وبالبداهة ان الطرف الحاد من الخارج وهو
الإبرة والألم منك وهكذا فى جميع أحوال الادراك الظاهري خصوصاً
اللمس والمقاومة فاننا ندرك الأنية والغيرية معاً بفعل واحد غير قابل
للتجزئة يشمل الاثنين معاً على أن كلا منهما يبقى منفصلاً عن الآخر
وخاصاً بذاته



الجزء الثانى

علم الجمال

الجمال والفنون

علم الجمال — ان رغبة الانسان فى الوصول الى حقائق الأمور لا تقف عند حدود العلم مهما كانت قوته فهو من هذه الناحية لا تروى له غلّة . ولا يكفى لما تنزع اليه نفسه . بل يرى الانسان يشعر بانفعال خاص عند ما يقع بصره على صورة من صور الجمال فى عالم الطبيعة على أن اللذة التى نشعر بها من مشاهدة المناظر الطبيعية لذّة غير كاملة إذ لم تستكمل تلك الأشياء كل الصفات التى تصبو الأذهان اليها ؛ لذلك خلق الانسان لنفسه عالماً ممتازاً ذا منظر محسوس مؤثر أكثر وضوحاً وبيانا يبهج النفس بهجة تنعشها وتزيد من نشاطها وقوتها تلك هى الغاية التى ترمى اليها الفنون ، وكان من ذلك أن وجد علم جديد ، علم الجمال والفنون ، ولما كان علم المنطق يُبين لنا طرق التدليل للوصول الى الحقيقة وعلم الأدب ماهية الخير وشروط تحقيقه كان علم الجمال كذلك مبيّناً للقواعد الضرورية لابرار الجميل فالمنطق للقوة المدركة ، وعلم الأدب للإرادة ، وعلم الجمال للحساسية

الجمال وطبيعته — الشيء الجميل يختلف عن الشيء المقبول — لأن رؤية الجميل تكون دائماً مصحوبة بلذة مادية ومعنوية يمتاز بها الجمال — وأما الشيء المقبول فقد لا يكون جميلاً ، لأن مناسبة طعم الشيء أو رائحته لا تكفي لتحقيق شروط الجمال فيه — وليس للخيال حواس غير السمع والبصر . وقد عرف بعضهم الجمال بأنه المظهر التام للنظام أو هو كما قال أرسطو ما جمع بين الفخامة والنظام . أو هو التفرد عند اختلاف المتشابهات أو هو ما بلغ حد الإعجاب والإطراب

وعلى العموم فالجمال من المعاني الأولية التي لا يمكن تعريفها
الجمال والمنفعة — الشيء الجميل يختلف أيضاً عن الشيء النافع — لأنه يوجد عشرات أو مئات من الأشياء النافعة ليس بينها جميل ، وكذلك توجد أشياء توافرت فيها شرائط الجمال وليست بنافعة مثل تمثال أو لوحة رسم . وحقيقة يعجبنا في الجميل حسن الائتلاف والتناسب بين أجزائه المختلفة فهو آية من آيات النظام

والنظام روائع كما لا يخفى لا حد لنهايتها — والشيء الجميل ملحوظ فيه الشكل والظواهر الخارجية في حد ذاتها بصرف النظر عن كونه نافعاً أو مقبولاً أولاً نافعاً ولا مقبولاً باعتبار مرافق الحياة . لا يبحث فيه عند مادته ولا عن مشموله — ولذلك كان الشيء النافع مادياً دواماً —

أما الجميل فقد يكون خيالياً — يعيش الإنسان بغير رؤية الجمال ولكنه يعيش محروماً من زينة الحياة وفي الواقع أن الشيء الجميل من الكماليات غالباً

الجمال والحقيقة — الجمال غير الحقيقة — لأن الجمال قد يكون
خيالاً محضاً والحقيقة كذلك ليست جمالاً . والحقيقة غير محسوسة وأما
الجمال فهو أشكال وصور محسوسة

وتختلف وجهة الحقيقة والجمال فيتمارضان . فان الحقيقة قد تهمل
الفرديات ولا تشتغل إلا بالكليات . على أنه بالعكس قد يصل الفنى
بالحدس الى صفة من الصفات الفردية تبعث فينا كل الجمال
فاذا نظرنا بناءً هندسياً أنيقاً فانه يؤثر فينا تأثير الجمال أيضاً لا
لأنه مبني على أصول هندسية وحقائق عامة بل أعجبنا منه هندمته وأثر
فينا تناسب مبانيه ونظام أشكاله وقوة التخيل التي أخرجت تلك الصور
من القوة الى الفعل

الجمال والخير — خلط فلاسفة اليونان بين الأمرين وجعلوهما واحداً
ولا شك أنهما متقاربان فحسب لأن الخير لا يكون دائماً جميلاً فدفع
الضرائب لحكومة البلاد للقيام بالشؤون العامة خير ، والاحسان خير ؛
ولكن هل يقال انها من ضروب الجمال ؟ وكذلك ليس كل شيء جميل
فعلاً من أفعال الخير فكثيراً ما نشاهد صوراً تمثل أشخاصاً أو حوادث
تاريخية فتؤثر فينا تأثير الجمال وقد كانوا من أسوأ الأشخاص وأشأم
الحوادث في التاريخ

وبين الجمال والخير فوارق أخرى فان الخير محتم علينا لأنه واجب
من واجبات الانسانية والجمال لا يكون إلا محلاً للأطراب والأعجاب

والخير يأتي عادة على أثر شعور الحنو أو التألم أما تأثير الجمال فهو

شعور انتعاش وسلام

وليس هناك ما يمنع أن يبرز الخير وعليه مسحة الجمال ، ولا يقصد بذلك المبالغة في الاحسان أو اخراج العطاء عن حد المؤلف ولكن يلبس فعل الخير حلال الجمال اذا خرج على أشكال محسوسة عند تصويره بأقلام الكتّاب والمصورين . في هذه الأقلام تسلية المحزونين وعزاء المنكوبين وبهجة النفوس وزينة الحياة

نظرية الجمال — النظرية الأولى — يقول أصحابها أن الجمال يتعلق بوجودان الانسان أكثر مما يكون في الشيء من الصفات والخصائص وأساس هذه النظرية أن الأشياء لا تظهر لنا بمظهر الجمال إلا اذا تأثرنا عند مراها بلذة على وجه خاص فجمالها هو تلك اللذة التي تعرض لنا

وفي هذه النظرية أثر من الحقيقة فانها توضح لنا شرطاً لازماً لظهور عاطفة الجمال — وهو رؤية الشيء مع خلو البال . يفسر ذلك حالة المتأملين في عالم المخلوقات ترى كثيراً منهم تمر بأبصارهم الأشياء وهم بعيدون عنها لا يلتفت نظرهم دقة صنعها ولا مكانها من الابداع بينما نرى نفرأ قليلاً يمر بهم حادث بسيط من ظواهر الكون أو يقع بصرهم على كائن من الكائنات فيؤثر فيهم تأثيره الخيالي وتنكشف لهم سرائره وتجلى فتتدفق الحكمة من افهامهم ما شاءت قدرة خالقه سبحانه — ووصف أصحاب هذه النظرية أمثال هؤلاء بصفاء الخلق والاستعداد الخاص فتؤثر فيهم بهجة الألوان والألحان وبدائع الأشكال وظواهرها فيتيهون في تأملاتهم كأنهم في ذهول أصول الفلسفة (١٨)

دائم أو سببات عميق تلك طبائع أهل الفنون الجميلة
لا شك ان لدرجة صفاء البال وبعد الأذهان عن مشاغل الحياة
ومتاعبها أو قربها أثراً عظيماً في تقوية الشعور الخيالي عند بعضهم وضعفه
أو فقدانه عند الآخرين

ولكل صانع من أهل الفنون في عمله غاية يرمى اليها وحلم يشغله
لأن الصانع لا يشتغل لهواً ولعباً بل يريد أن يخرج من قريحته ووجدانه
عملاً جدياً يمثل فكرة أو شعوراً أو خيلاً في عالم الوجود تكون قيمته
عظيمة لدى الجمهور إذ يناجي به الضمائر البشرية فتشعر بترديد صداه كلما
وقعت عليه الأبصار

النظرية الثانية — اتفق علماء الفلسفة على أن التأثير الجمالي لا يظهر
أثره إلا اذا كانت ملكات الانسان تعمل بتفرغ وانقطاع لا يشغلها
مصاحبة عملية أخرى . وزادوا على ذلك ضرورة وجود صفات مخصوصة في
الشيء توحى الى النفس صفات الجمال

وما هذه الصفات ؟ قال بعضهم ان الجمال يكون بنسبة القالب
المفرغة فيه الأشياء والغرض المفهوم منه . وقال غيره ان الشيء يكون جميلاً
كلما كان موضوعاً بنظام دقيق لفكرة مخصوصة . وقال آخر ان الشعور
ينبعث من مجرد ادراك الفكرة . كل ذلك يدل على أن الجمال هو الالهام
الحاصل في فهم المقصود بتأثير الحس ولكل قول في تعريف الجمال
يطول ذكره

الجمال انتصار الذهن الانساني على المادة والقبح انهزامه أمامها . ماذا

يخالج الضمائر عند رؤية الجمال ؟ نشاهد روحاً تمكنت من قواها ولم نجد عائقاً في سبيلها فنهضت بالمادة وهى صماء عديمة الحركة فخبرتها وجاست خلالها وشكلتها بشكل مفهوم ظاهر للعيان : قال نابوليون بوناپرت عن المصور الشهير ريجو (وهو الذى صوّر أعيان المصريين أيام الاحتلال الفرنسى) انه يخلق من كل رسم فكرة جديدة حتى اننى كثيراً ما كنت أتهيج برؤية صورهِ الجميلة

الجهول - الجمال مبناه على التناسب بين الأصل والشعور الانسانى ، أما الجلال فعلى العكس من ذلك . الشعور به تطيقه الطبيعة البشرية - وقد قسم بعضهم الجلال الى نوعين : جلال العظم كالحاصل من رؤية المحيط واتساعه أو الصحراء وامتدادها . وجلال القوة كالحاصل من رؤية أسد عند غضبه أو بركان فى ثورانه - أمام تلك المناظر تهزم قوانا وتفضل ملكاتنا

يحصل من رؤية الجليل العجب أو الاحترام أو الاعجاب أو الحماسة أو الدهش - كل عمل جميل وجميل يرفع النفس الى ما لا نهاية له ، وهو الحد المشترك الذى تنزع اليه النفس من طريق الجمال والحقيقة والخير - أما القبيح فهو تغلب الفوضى على النظام وفقدان التناسب والائتلاف عناصر الجمال - (١) الفكرة فى الجمال توحى الينا أولاً العظم كالاتداد أو العلو أو العزم أو الشرف سواء فى ذلك الأشياء الطبيعية أو أعمال الانسان ؛ ولكن العظم لا يكفى بمفرده لتوفر شروط الجمال بل لا بد من النظام فى تشييد ذلك العظم كالوحدة والكثرة والتناسب والائتلاف والملائمة

(٢) لا يتولد فينا شعور الجمال إلا اذا برز على شكل محسوس مؤثر
في الحواس تأثيراً يوقظ الالتفات ويدعو الى الاعجاب

أنواع الجمال — للجمال أربعة أنواع — الجمال الطبيعي والأدبي
والخيالي والمطلق

الجمال الطبيعي هو (١) جمال الكائنات الغير الحية كمظمة الأنهار
وجلال البحار والجبال والسماء

(٢) وجمال الكائنات الحية — كجمال بعض النباتات والأزهار
والحيوانات وتلاؤ الذكاء والفطنة في وجوه أصحاب القرائح . وسما
الاخلاص في وجوه الأطفال وأمارات الفضيلة على وجوه الصادقين وأهل
التقوى والصلاح

والجمال الأدبي هو ما يتناول الأفعال البشرية — كتسلط الارادة
على الشهوات والميول وتضحية المصلحة الخاصة في سبيل المصلحة العامة ،
والاخلاص لغير غاية أو مصلحة ذاتية

والجمال الخيالي — هو قوة من قوى العقل والتخيل توصل الى الاختراع
والتأليف بمساعدة الادراك الظاهري والقوة الحافظة وهو ما يسمى
بجمال الصناعة

أما الجمال المطلق — فهو الجمال الأقدس المنفرد في جماله التام الدائم
الذي وجد بذاته ولم يوجد له أحد

﴿ الذوق والقريحة والعبقرية ﴾

الذوق ملكة مختلطة تتكوّن من الحس والتخيل والعقل الآ أن
للعقل المقام الأول فيها — واستكمال الذوق كاستكمال باقي الملكات
بالتأمل والمران على النقد ودراسة النماذج العالية والاتصال الدائم بأهل
الذوق الحقيقي

والقريحة هي استعداد جاء خلقه أو مكتسباً بالتعليم فتظهر به صور
الجمال في الشعر والخطابة والفنون

والعبقرية — هي موهبة من الله (والله يؤثي فضله من يشاء) صفاتها
إلهام وفتى متى حل في نفس جادت بالاختراع والأبداع وتقليد الجمال الجلال

﴿ الفنون ﴾

يوجد صنع الطبيعة في الوجود ناقصاً أو مشوهاً ولذا يكون التأثير
الجمالي منه ناقصاً أيضاً ومن هنا جاءت فكرة الاشتغال بالفنون ؛ فالفنون
وجدت لتكميل ما عجزت عنه الطبيعة . فهي لتخرج الجمال ولا غاية لها
غير ترضية النفس بما تتوق اليه وتنزع وهو الشعور بالجمال

والفنون هي مظهر الجمال وآياته مفرغة على أشكال محسوسة
قالوا «الفن للفن» بمعنى أن الفن علم مستقل بذاته لا يتعلق بغيره
وليس الغرض منه تعليم أو تهذيب وكذا لا يستمد روحه من الحقيقة ولا
من الخير كل ما يطلب الظفر به : اعجاب الجمهور

وليس الغرض من ذلك أن يطرح الفنى الحقيقة والخير الى جانبه لأنه ان فعل لم يرض المملكات البشرية المختلفة وأثار عليه اعتراضات المعترضين ونقد الناقدين من أهل العقول والوجدان ؛ فالحقيقة والخير هما من الحدود التى ان تجاوزها الفن لم يحصل على الجمال وهو طلبته التى ينشدها .

فالفنى لا غنى له عن الاعتماد على النظام الطبيعى للجمال والحقيقة والخير

فكل صنع جميل حقيقة من الحقائق وله قيمة عند الجمهور حيث تجسدت فيه حقيقة خالدة ، وكذلك كل صنع جميل خير لبنى الانسان حيث يرفع النفس الى مستوى درجتها اللائقة بها ولو لحظة واحدة من المستحيل أن يكون فى رؤية الجمال سقوط للنفس فالجمال لا يكون أبداً مفسداً ؛ انما يجب عليها التجرد من الملاذ المادية والشهوات الضارة ان هى أرادت أن تحس بمكانها من الرفعة والكمال ولذلك قيل أن التربية الخيالية جزء من التربية الأدبية

مزايا الفلسفة فى الفنون — (١) مذهب الحقيقة — عرّف أصحابه الفن فقالوا هو تقليد الطبيعة أعنى انهم يقولون بأن لا غرض للفن الا نقل الحقائق كما تهدى اليه الحواس . فرد عليهم آخرون بأن المخلوقات توجد فى عالم الوجود وبها من النقص وعدم الكمال ما هو معروف فنقل صورتها يؤدى الى وجود تلك الصور كذلك أعنى خالية من عناصر الجمال اذاً لا فائدة من الفنون

(٢) مذهب الخيال — عرّف أهله الفن بانه تمثيل الخيال أعنى أن

الفن يحول عن الواقع ويجعل من الطبيعة خيالاً يمثل كل شيء على ما تشتهي النفس فرد عليهم آخرون بأن الفنون تصبح ولا قيمة لها ما دامت بعيدة من الحقيقة

والرأى الذى عليه المعول هو أن فى كل صنع فنى أمرين : الفكرة والشكل أى الخيال والحقيقة — فى تمثال موسى عليه السلام الذى صنعه (ميكانيك) ترى الفكرة منه هى ما وهبه الله تعالى لهذا النبي من القوة والسلطان ، والشكل هو القامة والاعتدال والملاحة التى تؤثر فى النفس بهيئتها وجلالها نخرج من ذلك على أن أصول الفن هى الخيال والحقيقة وائتلافهما أعنى بروز الفكرة مجسمة بشكل محسوس وتشكيل الحقيقة بما يهذى اليه الخيال . هو المثل الأعلى لها

قال الشهير باكون ان الفن هو مساعدة الانسان للطبيعة فى العمل لأن الأشياء تسير فى عالم الطبيعة تحت نواميس لا مناص للخلاص منها اذا تركت وشأنها . والفنى عند ما يتأملها بصفاء روحه وامتزاج عواطفه وتنكشف له حجب الغيب عن مكنون أسرارها يضحك من تلك النواميس التى أناخت على المادة فشوهت من خلقها فيسرع اليها ويزيح عنها ما أنقض ظهرها ويفك من قيودها واغلاها حتى تتمثل لخياله على حقيقة خلقها وما يجب أن تكون عليه لولا ضعفها حيال تلك النواميس وجبروتها أى مثال كمالها الأعلى

أقسام الفنون — يقسمون الفنون الجميلة الى عمارة ونحت وتصوير

وموسيقى وشعر

فالعامة تعرب عن جمال المادة في الجمادات فتولد شعور العظم والتناهي
والنحت والتصوير يعربان عن الجمال بتقليد النبات والحيوان فيتولد
الشعور النفساني وتظهر حالات النفس المختلفة وصنوف الهم والحقائق
حسب قدرة الصانع ونفوذ روحه ودرجة الإلهام الذي اختص به وتفرد
بين أصحاب الفنون الجميلة

والموسيقى — وهي صوت الجمال — تعرب عن العواطف والميول
وإذا ساعدها الكلام نظماً أو نثراً أعربت عن الأفكار البشرية كذلك
والشعر — وهو لغة الجمال — يعرب عن العواطف والأفكار بالكلام
المقفى الموزون وهو أبلغ طرق المناجاة ومخاطبة النفوس وأكثرها رقة
وأوسعها مجالاً وأعظمها إحكاماً وأوفاهها بياناً

إذاً تكون الفنون على نوعين فنون البصر وهي العمارة والنحت
والتصوير وفنون السمع وهي الموسيقى والشعر

(تم علم الجمال ويليه علم المنطق)

مصطلحات علوم الفلسفة

التي وردت في كتاب أصول الفلسفة



Abslu - Absolute

المطلق

أى الموجود المطلق المستقل الذى لا يتعلق وجوده على شرط ما - هذا ان كان صفة - أما اذا كان اسماً فهو الكائن فى ذاته وبذاته وهو غير المشروط عند هملتون (Inconditionné)

Abnégation

انكار الذات

أى تضحية النفس فهى ضد حب الذات . وقد وضع أصحاب الفلسفة الواقعية كلمة Altruisme بمعنى الايثار وهو أعلى درجات انكار الذات والاخلاص

Aboulie

فقدان الإرادة

مرض عقلى يؤثر على قوة العمل عند الانسان

Abstraction

التجريد

عمل من أعمال الذهن حيث يبحث فى الشئ، من إحدى خواصه التى فى الحقيقة لا يمكن أن توجد منفصلة أو منفردة - وهو صورة من صور التحليل واذ كان التجريد تحليلاً فليس كل تحليل تجريداً

Abstrait

مجرد - معنوى

ما كان ضد المحسوس Concret - وهو خاص وعام فالبياض معنى مجرد عام . أما بياض هذا الحائط فهو معنى مجرد خاص

Académie

أكاديمية

من أكاديموس اسم صاحب الحديقة التي كان أفلاطون يعلم فيها تلاميذه
ومتى قيل فلاسفة الأكاديمية كانوا أصحاب أفلاطون وهم الاشرافيون عند فلاسفة
المشرق (والاشراق بمعنى الفيض) أو فلاسفة اللىسية (Lycée) كانوا أصحاب
أرسطو وهم المشاؤون عند المشاركة

Acatalepsie

معرفة ظنية

وهي عند المتشككين جميع المعارف البشرية لقصور العقل الانساني عندهم عن
الوصول الى الحقائق

Accident

العرض

هو ما قام بغيره . وهو غير الصفة حيث لا يستنتج من طبيعة الجوهر . وغير
الظاهرة لأنه قد يزول وغير الخاصة حيث الخواص عند أصحاب (ديكرت)
بعضها خواص أصلية كالفكر بالنسبة للنفس - والامتداد بالنسبة للأجسام
أما قولهم بالعرض فهو مقابل قولهم بالذات (par soi)
والعرض إحدى الكليات الخمس (les cinq universaux)

Acroamatique

التعاليم السرية

وهي التعاليم التي كانت تلقى لخواص التلاميذ خوفاً من تأثيرها السيئ على
العامة ويقابلها التعاليم الجهرية exotérique

Acte

الفعل

وهو ما قابل القوة (puissance) مثل بالفعل actuel يقابل بالقوة potentiel
التمثال موجود بالقوة في كتلة الرخام قبل نحتها فاذا نحت كان موجوداً بالفعل

Acte pur

فعل محض

وهو من صفات الله تعالى

Action

العمل — الحدوث

عمل الوظيفة وعمل الملكية وعمل الإرادة الفعالة كلها أعمال أو أفعال actions
وكلاهما نتيجة حركتنا ونشاطنا notre activité ومنه (مبدأ العمل الأقل) principe
de la moindre action وخلاصته أن كل شيء في الوجود يتم في الطبيعة بأقرب
الطرق وبأقل جهد أي أن الطبيعة تحصل في عملها عند تكوين الموجودات على
أعظم النتائج بأدنى المجهودات

Activité de l'âme

حركة النفس

أو نشاط النفس هو قدرتها على خلق أفعالها

Adaptation

التوفيق الملاءمة

ملاءمة الأجسام العضوية وغيرها للوسط التي تعيش فيه . وقد تحول رويداً
رويداً إلى أن تصير نوعاً آخر

Analogie

التشيل

وهو القياس بالتنظير والمثابة . بمجرد تماثل أو مشابة بين الأشياء . ولا
يقتضى ذلك اتحاد في الذاتية أو اتحاد تام في الصفات

Association des idées — إشتراك الخواطر

هو ملكة من ملكات العقل متى ذكرت معنى جاءك معنى آخر لاشتراك بينهما
أو اتحاد في موضعهما

Antécédent

المقدم

المقدم هو الحد الأول من كل نسبة منطقية أو جدلية والحد الثانى هو التالى

conséquent

Atavisme

الوراثة المنقطعة

هى انتقال صفات أو استعداد الكائنات الحية الى أعقابها ولو خلت منها الأصلاب مباشرة فهى وراثة تختلط ببعض الطبقات وتظهر فيما بعدها

Atome

الجوهر الفرد

هو العنصر الأول . الذى لا يتغير فى تكوينه وشكله وحجمه ولا يتجزأ . تتركب منه الأجسام على مذهب القدماء .

Ame humaine-human soul

النفس الناطقة

هى نفس الانسان

Ame sensitive

النفس الحساسة

هى نفس الحيوان عند أصحاب ديكارت

Activité motrice

الحركة الفعالة

وهى التى تكون سبباً لوجود غيرها

Actif et passif

فعلى وانفعالى

الأول ما قام بالفعل والثانى ما وقع عليه الفعل

A priori

(١) أولى

A posteriori

(٢) كسبى أو اكتسابى

الأول ما كان سابقاً على كل تجربة . والثانى ما جاء بعدها . فالأول معناه

التصور المبني على مبادئ العقل . والثاني تصور الشيء بعد التجربة بالترقي من
المعلولات الى العلل ومن الأشياء الى قوانينها

Antimonie

تناقض

هو اختلاف بين قانونين أو اثباتين إيجاباً وسلباً وعند (كَنت) Kant تناقض
العقل مع نفسه كما حاول الوصول الى المطلق

Antropologie

علم طبائع البشر

Antithèse

تقيض الدعوى

كقولك ليس للعالم أول في الزمان ولا حد في المكان وقولك لا شيء مركب
من أجزاء بسيطة . وليس في العالم بسيط - وذلك بعد دعوى (thèse) نقول فيها
للعالم أول زماناً ومكاناً وقولك كل جوهر يتركب من أجزاء بسيطة . ولا يوجد في
العالم إلا الشيء البسيط أو المركب من البسيط

Apathie

جمود

فقدان الشهوات . وعند (كَنت) الجمود الأدبي وتقصان العزيمة وعدم المبالاة
بالأسباب التي تسير بحياتنا

Aperception

ادراك بروية

وهو نوعان ادراك تجريبي وادراك محض وهو أرق من الادراك البسيط
(perception)

Aphorisme

جوامع الكلم

وهو كل قول قلّ لفظه وكثر معناه

Appétition

نزوع - شوق

عند لايبنتز Leibniz هو ميل المونادات monades للتحول من ادراك الى
آخر طبقاً للناموس الداخلي لنموها

Appétit

قوة الشوق

هو النزوع عند القدماء . وعند فلاسفة اسكوتلندة الميل الطبيعي الخاص
بالأجسام

appréhension

التصور

هو أول عمل للفكر - تصور الشيء عند المنطقة أول أعمال الذهن وهي التصور
والحكم والقياس والترتيب

Arbitre (libre)

الاختيار

أو الحرية الأدبية - وهو أول عمل الإرادة مختارة بغير مؤثر خارجي ما

Altération

استحالة

تغير في الصفات دون الجوهر نفسه وفي التعريفات : الاستحالة حركة في الكيف
كتسخين الماء وتبرده مع بقاء صورته النوعية

Alternative

التنافي

التنافي بين قضيتين معناه متى كانت أحدهما صحيحة تكون الأخرى باطلة .
والتنافي غير التناقض Contradiction فإن التناقض معناه أن النقيضتين المتناقضتين
لا يمكن أن يكونا صادقتين معاً مثل زيد انسان وزيد ليس بانسان
والتنافي معناه أن القضيتين المتناقضتين لا يمكن أن يكونا فاسدتين معاً
كالوجود والعدم

Atheisme

الالحاد

Attribut et sujet

المحمول والموضوع

كل قضية تتركب من موضوع ومحمول ونسبة بينهما فالأول هو المحكوم عليه .
والثاني هو المحكوم به (prédicat) والثالثة هي التعلق والارتباط بين الطرفين

حركة آلية (Automatique (mouvement)

هي كل حركة تتكرر دائماً على وثيرة واحدة . بمؤثر داخلي لا خارجي

الإيحاء الذاتي (Auto - suggestion)

الهام نفساني بالإرادة أو بغير الإرادة . مثلاً يحصل عند بعضهم أن ينام بعزم الاستيقاظ في ساعة معينة فيتم له ذلك فعلاً . أو يخطر بباله شخصاً فيراه بعد قليل راجع (suggestion)

الإثبات — الإيجاب (Affirmation)

ويقابلهما النفي والسلب ويختلفان عن التأكيد (assertion) الذي يقابله الشك

الموافقة (Assentiment)

هو عمل من أعمال الذهن كموافقة رأيك ل رأي الغير وهي غير القبول
Consentiment الذي هو من ناحية الإرادة

المماثلة والمغايرة (Assimilation et Différenciation)

مثل أفلاطون (Archétypes)

راجع كلمة (Exemplaires)

بديهيات ومسامات (Axiomes et postulats)

B

الصوت الراتب (Bruit monotone)

وهو الصوت على حالة واحدة وكذلك الصوت الرتيب (المخصص)

الحنو الأدبي (Bonté morale)

صفة للإنسان يلقي بنفسه في المخاطر لاتقاذ غيره من حريق أو غرق أو نحوه

Bonheur idéal

أقصى أمانى السعادة

Biologie

علم الحياة — علم ظواهر الحياة



Capacité

خاصية

يميز بعض الفلاسفة الخواص عن الملكات الأصلية فيقولون أن الخاصية ملكة انفعالية . ومجرد قابلية . فلاحساس مثلاً خاصية لقبول التأثيرات الواقعة على الجسم . ولكن متى عاونها الانتباه تحولت الى ادراك أى ملكة حقيقية للعلم والمعرفة

Catégories , prédicaments

المقولات

مقولات ارسطو هي :

substance

الجوهر

Quantité

الكم

Qualité

الكيف

Relation

الاضافة

Action

الفعل

Passion

الانفعال

Lieu

الآين

Temps

المتى

Situation

الوضع

Avoir

الملك

Catégoremes

الكليات الخمس

وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام

القضايا الحتمية أو الحكمية (Catégoriques (propositions)

وهي القضايا المنطقية ذات الحدود البسيطة ويقابلها القضايا الشرطية

(hypothétiques) والقضايا المنفصلة Disjonctives

الأقيسة الحكمية مثال ما تقدم Catégorique (syllogismes)

Categorical imperative } الأمر بلا شرط
Catégorique (impératif) }

الأمر بلا شرط عند (كنت) (Kant) خاص بالقانون الأدبي قانون الضمير

فإن لأوامره ونواهيها نوعان مشروط (hypothétique) وبلا شرط

العالية Causalité

وهي فعل العلة بصفتها علة أي الرابطة الحقيقية التي تربط العلة بالمعلول ومنها

مبدأ العلية (principe de la . . .) وقانونه كل شيء بدأ يوجد أو وجد فعلاً

له علة وأنواع العال كثيرة أهمها

العلة المادية Cause matérielle

وهي ما يوجد الشيء بالقوة

العلة الفاعلية Cause efficiente

ما يوجد الشيء بسببه

العلة الغائية Cause finale

ما يوجد الشيء لأجله

العلة الصورية Cause formelle

ما يوجد الشيء بالفعل

Cause partielle

العلة الناقصة

ما كانت غير ذلك

Cercle vicieux

دائرة فاسدة

مغالطة أو تقرير باطل . وهي بناء القضايا على قضايا أخرى محتاجة لإثبات كقولك
الأفيون منوم لأن فيه خاصية التنويم

Certitude

اليقين — الثبوت

وهو قبول الذهن لما علم قبولاً ثابتاً لا يتحول . وتقيضه الشك لا الجهل كما قال
بعضهم لأن عدم العلم لا يفيد شكاً ولا يقيناً

Certitude objective

(١) الثبوت الخارجي

Certitude subjective

(٢) الثبوت الذهني

عند (كنت) الثبوت الذهني اعتقاد تام ناشئ من مطابقة الذهن لنفسه .
والثبوت الخارجي اعتقاد ناشئ من مطابقة الفكر لحقيقة الأشياء في الخارج الأول
كشهادة الوجدان والثاني كاليقين العلمي
واليقين الخارجي هو البداهة

واليقين كذلك اما حدسي أو كسبي أو منطقي (مبني على النظر القياسي) أو
تجريبي (مبني على ملاحظة الأمور)

Cognition

الإيقان

وهو أخص من المعرفة ويقول (كنت) ان للحيوان حدساً وليس له إيقان
لأنه غير مفكر

وفي تعريفات الجرجاني : الإيقان هو العلم بحقيقة الشيء بعد النظر والاستدلال

Compréhension et extension	الصدق والشمول
Conceptions	الإدراكات
(Conçus par la raison.) هي المعقولات الذهنية أى ما يدرك بالعقل (Perçus par les sens.) ويقابلها المحسوسات ما تدرك بالحواس	
Concept	تصوّر
Conceptualisme	المذهب المعنوى
يقول أصحاب هذا المذهب أن المعانى العامة أو الكلمات وإن كانت أسماء عامة دالة على صفات لا توجد إلا فى أفرادها غير أن لها من جهة أخرى وجود حقيقى لأنها تصورت فى الذهن	
يريدون التوفيق بين المذهب الوجودى (Réalisme) والمذهب اللفظى	
Conclusion	نتيجة اتفافية
Conséquence	نتيجة لزومية
Connaissance absolue	(١) المعرفة المطلقة
Connaissance relative	(٢) المعرفة الإضافية
الأولى ما تعلقت بحقائق الموجودات . والثانية معرفة خليط بين حقائق الأمور وطبيعة الوجدان والذهن البشرى	
Connaissance objective	(١) المعرفة الخارجية أو المعرفة الموضوعية
Connaissance subjective	(٢) المعرفة العاملة
فالأولى هى التى تمثل لنا الأشياء كما هى فى ذاتها والثانية هى التى تمثل لنا الأشياء بحسب قوانين الفكر فقط	

Connaissance intuitive	المعرفة الحدسية
عند كنت ما جاءت بمجرد التأمل البسيط فهي المعرفة الأولية (conn. à priori)	
Connaissance discursive	المعرفة الكسبية
ما جاءت بعد كسب ونظر	
Connotatif	مقومات الشيء — مشخصاته
Conscience psychologique	الوجدان — الحس المشترك
هو عرفان مصدره النفس وحالاتها	
Conscience morale	السيرة — الضمير
هو العقل عند تمييزه الخير من الشر	
Conscience sensitive	الشعور بالحس
Conscience intellectuelle ou de soi	الشعور بالذات
Conscience (faits)	وجدانيات
كائنات وجدانية (انسان وحيوان) (êtres) «	
Inconscience	جمود الوجدان
Contiguité dans le temps	الاقتران الزماني
Contiguité dans l'espace	الاقتران المكاني
Contraposition	المعكس السلبي (منطق)
Conversion négative	

Contingent	الممكن — الجائز
ما جاز عليه الوجود والمعدم ويقابله الواجب (le nécessaire) والممتنع (l'impossible)	
Contradiction	التناقض
هو اختلاف القضيتين ايجاباً وسلباً وهو غير العكس - (Conversion)	
Copule	الرابطة العلاقة (في المنطق)
Corps	الجسم (المادة والصورة معاً)
Corrélation	التلازم
Cosmogonie	تولد الكون
مذاهب الأقدمين في أصل العالم - منهم من قال أصل العالم الماء وبعضهم النار	
Cosmologie	علم الكون
علم البحث في العالم ونظام العالم	
Cosmopolite	شعوبى
انسان يقول بآخاة جميع الشعوب	
Contingence du monde	حدوث العالم — تغيره
Concevable	مدرك
وهو أعم من الذهني (intelligible) لأنه يشمل الذهني والمحسوس	
Chaos	السديم
Combinaison	اتحاد
تداخل المواد ببعضها وتوليد مادة أخرى منها تغيرها	

Composition خلط

منج المواد ببعضها دون اتحادها

Criticisme مذهب النقد

وهو فلسفة (كنت) Kant وأصحابه

Crétérium التشخيص

وهو الوصف المميز. وفي تعريفات الجرجاني : صفة تمنع وقوع الشراكة بين موصوفيهما

D

Déduction الاستنباط

استخراج قضية من قضية أعم منها والشكل المنطقي للاستنباط هو القياس وعكس الاستنباط الاستقراء (induction) الذي يكون من الخاص الى العام

Définition التعريف - القول الشارح

Démérite السيئة

كل ما فيه نقصان القيمة الأدبية الذي هو نتيجة لازمة لمخالفة القانون الأدبي. ويقابلها الحسنة - الفضل (mérite)

Déisme - théisme مذهب الأيمان

Désintégration et intégration النقصان والزيادة

تطور الكائنات باتحادها وتباينها عند (سبنسر)

Déterminisme مذهب القدرية

وهو مذهب تقييد الاختيار

Devenir	الصيرورة — التكوين
وهي الرقى والتطور. لاجمود في الوجود بل كل شىء يتطور. والصيرورة حد وسط بين العدم والوجود	
Dialectique	القياس الخطابي — الدليل الخطابي
Diallèle	قياس فاسد
وهو ما كان مبنياً على الدور والتسلسل	
Différence	الفصل
وهو المميز للنوع من الجنس. فالعقل مميز للانسان عن الحيوان والاحساس مميز الحيوان من النبات ومنه الفصل المقوم différence spécifique	
Différenciation	المغايرة
والمغايرة عند (اسنسر) مرور الكائنات من التجانس الى التباين وهو قانون الرقى عنده	
Dilemme	القياس المركب
Dogmatisme	مذهب اليقين
وعندهم أن الحواس والعقل يكفيان في معرفة حقائق الأشياء. ويعارضه مذهب الشك (Septicisme)	
Démocratie	الديموقراطية
هي حالة اجتماعية يكون فيها الساطة مستمدة من الأمة	
Dépendance logique	التلازم العقلي
كالتلازم بين المعلول والعلّة	

Dynamique social	التطور الاجتماعى
حركة الأسباب المختلفة فى نشوء الجماعات والرقى الاجتماعى عند (أغست كونت)	
Dynamisme	مذهب القوة الكامنة
يقول (لايبنتز) ان فى الكائنات أصل داخلى أى قوة فاعلية هى المحرك لنموها.	
فهو ينكر جمود المادة بطبيعتها	
Demiurge	الصانع الأعظم
وهى من الألفاظ التى وضعها أفلاطون	
Durée	المدة
المدة هى تعاقب الظواهر (phénomènes) لأن الأبدية ينتفى عنها التعاقب	
والتغير فهى على قول الجدليين - حاضر أبدي (un éternel présent)	
والزمن هو مجموع المدد باعتبارها مجردة	
Dualisme	مذهب الاثنينية

E

Eclectisme	مذهب المنتخبين
وهم الذين يأخذون من كل مذهب أصدقه	
Effet	المعلول - لازم العلة
Emanation	الصدور
خروج الكائنات من الجوهر الكلى على مذهب وحدة الوجود	
Empirisme	المذهب التجريبي
فلسفة تقول بالاعتماد على التجارب لا بمجرد العقل وزعيمها باكون Bacon	

Entéléchie premier

كمال أول

عرف ارسطو النفس بأنها كمال أول لجسم طبيعي حتى بالقوة
لأن لكل كائن عنده كمالا (perfection) يتجه نحوه ويشوق الى الوصول اليه

Entendement - understanding

الإدراك العقلي

عند (كَنت) يختلف عن العقل (raison) بأنه ملكة الفهم والإدراك أما
العقل فهو جملة المبادئ التي يسير عليها الإدراك في نظره وأحكامه

Echelle des créatures

مراتب المخلوقات

Exemplaires de Platon ou archétypes

مثل أفلاطون

وهي صور معنوية أبدية بالغة حد الكمال تصورها أفلاطون نماذج وجدت جميع
المحسوسات في العالم على مثالها

Enthymeme

قياس تقديري

لأن احدى أجزائه مقدرة

Entité

الذات — الهوية

وهي في الفلسفة المدرسية مرادف لكلمة ماهية أو صورة — فالحيوان ذاتيته
الحيوانية والانسان الانسانية

Epagogique

قياس استقرائي

ما كان الحد الأوسط فيه معدداً لأنواع الحد الأصغر

Épichérème

قياس بياني

وهو ما كانت صغرى القياس أو كبراه مؤيدة بدليل أو بيان
أصول الفلسفة (٢٩)

Épisylogisme

قياس برهاني

قياس لاحق تكون فيه احدى المقدمات نتيجة قياس تقدم

Epiphénomène

ظاهرة ثانوية

Esprit

الذهن

الذهن قاعدة الفكر أو الفكر نفسه ، أو جملة القوى العقلية والأدبية للإنسان وقد يستعملون هذا اللفظ بمعنى النفس فيقولون النفس والجسم (esprit et corps) أو بمعنى الروح : الروح والمادة (esprit et matière) وعند (ديكارث) الجوهر الناطق substance pensante عبارة عن النفس في مقابل

الجوهر ذي الامتداد substance étendue وهو الجسم

Essence

ماهية الشيء

وهي ما به الشيء هو هو ويختلف عن الوجود (existence)

Esthétique

علم الجمال

وهو فلسفة الفنون الجميلة

Esthétique (goût)

ذوق الجمال

Espace - Space

المكان

المكان هو الحيز الكلي للأجسام . والمكان والامتداد (étendue) بمعنى تقريباً . والحيز هو الفراغ المحدود

غير أن هذه التعريفات لفظية لاحقيقية . وبين الفلاسفة خلاف دائم في معناها . وعند المتأخرين الامتداد هو الفراغ المحسوس (concret) أي جزء الفراغ المشغول بجسم . ويكون المكان مجموع الامتدادات مجردة عن الأجسام المحدودة أعني الامتداد المجرد غير المحدود

Éternité

الأبدية

الأبدية لا تنجزاً وينتفى عنها السابقة واللاحقية والبدء والنهاية . فهي حاضر أبدي (un éternel présent) قال أفلاطون الزمن صورة متحركة للأبدية الثابتة

Ethelisme

Thélématisme

}

مذهب الإرادة (شوبنهاور)

Êtres finis

الممكنات المتناهية

Êtres infinis

الممكنات غير المتناهية

Être logique ou être intelligible الماهية أو الموجود الذهني

والكائن الذهني être de raison (rational being) الماهية أيضاً

وعند المتأخرين الكائن الذهني هو كل معنى مجرد مفروض وجوده بغير حق

مثل الحقائق الذهنية عند كانت. Noumènes de Kant.

Être - being

الكائن — الموجود

ويقابله العدم (néant) أو الصيرورة (Devenir)

Éterdue

الامتداد

الامتداد هو ماهية الأجسام عند (ديكارت) بمعنى أن الصفات الخاصة للأجسام

تنبجى من الامتداد بواسطة الحركة . فهي ليست شيئاً آخر غير الامتداد تنوعه الحركة

فالامتداد اذاً هو النسبج المصنوعة منه هذه الصفات

مذهب التطور — أو مذهب النشوء والارتقاء Evolutionisme

Existence extérieure

External world

}

الوجود الخارجى

F

Faculté - Faculty	الملكة
هي قوة حسية أو معنوية في الكائنات تجعلها تسير على نمط خاص أو تنتج أثراً ما أو تتحول قليلاً أو كثيراً بتأثير غيرها فيها	
Fatalisme	مذهب الجبرية
وهو مذهب سلب الاختيار	
Fatale (loi)	الناموس الجبرى
Figure	الشكل
وهو الصورة الخارجية	
Figures de syllogisme	أشكال القياس المنطقى
Fonction	الوظيفة
هي مجموع الأفعال التي تتم بجهاز عضوى مثل وظيفة الهضم وهي خلاف الملكة والخاصية	
Forme	الصورة
وهي ما تحدد بها الكائن بالنسبة للمادة والصور الجوهرية عند فلاسفة القرون الوسطى (ويقابلها الصور العرضية) هي مهاي الكائنات . وبهذا المعنى تكون النفس صورة الجسم الحى ولولاها لكان الجسم جثة والنفس كمال أول للجسم	
Formes à priori	صور أولية
يسمى (كنت) الزمان والمكان بالصور الأولية للحساسية أعنى الشروط	
العاملية للمعرفة وكذا يقول ان المقولات هي صور أولية للمعرفة والصور هنا بمعنى	

الاشكال أو القوالب التى تفرغ فيها مدركات العقل بحكم تكوينه . ولا يتصورها
الانسان الا على تلك القوالب

Facultés morales

الملكات الاخلاقية أو الأدبية

Facultés intellectuelles

الملكات العقلية

Formules de la nature

سنن الطبيعة

Formes du raisonnement

صور القياس العقلي

G

Générales (idées)

المعاني العامة

وهى الكليات (prédictables) عند فلاسفة القرون الوسطى مثل الجنس
والنوع والفصل

Généralisation

التعميم

التعميم من عمل الذهن وهو جعل عدد غير محدود من الكائنات أو الافعال
تحت معنى واحد يكون مشتركاً بينها والتعميم مصدره الاستقراء والتجريد والموازنة
مثل المموسات والمرثيات والمشمومات

Génération spontanée

التولد الذاتى

أن يوجد الكائن الحى بلا أب أو أم . وهذا مما ينفى العلم الحديث نفياً باتاً

Génie

العبقرية

تفوق الانسان بمالكاته على أهل عصره فى الفكر

Grand terme	الحد الأكبر
Gnosticisme	في القياس المنطقي مذهب الأدريّة علم الكلام على قاعدة النصرانية

H

Hétérogène	مختلف الطبع
Homogène	متحد الطبع
Hiérarchie	المراتب
Hiérarchique (ordre)	النظام الرتبي
Hiérarchie sociale	المراتب الإجتماعية
Human soul	النفس الناطقة

I

Iatrochimie	الطب الكيماوي
Iatromécanisme	الطب الميكانيكي
Idéal	المثل الأعلى

ليس المثل الأعلى خيالاً ووهماً عند أفلاطون بل الحقيقة في ذاتها بصرف النظر عن النقائص التي تظهر في الأشياء عند ادراكها بحواسنا . ولا هو معنى من المعانى العامة وجد باستقراء أفراد الكائنات والموازنة بينها . بل هو النموذج القائم بذهن كل فنى (artiste) يراه بعين بصيرته فيوحى اليه أسرار فنه

وعند المتأخرين يراد بلفظ (Idéal) معنيان :

(١) خيالى أى مالا يكون الا معنى من المعانى ويقابله الواقع (réel)

(٢) الكمال أو الفرض الأسى

Idéalisme

المذهب المثالى

وهو المذهب القائل بالمثل الأفلاطونية في الفلسفة القديمة

Idéalisme

المذهب الخيالى (الفلسفة الحديثة)

ونظريته انكار العالم الخارجى . وادعاء أن المعرفة التي تحصل عليها منه ليست الا معرفة بالواسطة أى من خلال حالاتنا الوجدانية

ويقابله المذهب الوجودى (réalisme) ونظريته عكس ما تقدم

Idéalité

خيالية

(لفظ منقول من الوصفية الى الاسمية) - قال (كَنت) بخيالية الزمان والمكان أى انهما ليسا بحقيقيين خارجاً عنا بل هما صورتان من صور الحس . وتمثل محض أى صور عاملية ليس الا

Idée - Idea

معنى

كل مالا وجود له الا فى الذهن

Idées de Platon

مثل أفلاطون

هى الحقائق الذهنية عنده أما (ديكارت) فالحقائق الذهنية عنده هى الجواهر التى يدركها الذهن ولا تقع تحت الحس وهما النفس وخالق الوجود (تعالى)
(راجع كلمة exemplaires de Platon)

Idées de sensation

(١) معانى الإحساس

Idées de réflexion

(٢) معانى الروية

وهما عند (لوك) مدركات الحواس ومدركات الوجدان

Idées-images

المعانى الصور

تأثير الأشياء على أعضاء الحواس أوحى لقدماء الفلاسفة افتراض وجود عناصر مادية فى الأجسام توجهها الى جميع الأنحاء فتصيب أعضاءنا بتأثيراتها . ويسمون هذا المصدر الذى يؤثر على حاسة البصر بوجه خاص بالمعانى الصور أى المعانى المرتسمة فى النفس ارتسام الصورة فى المرآة
ومن طريق التمثيل شبهوا ادراك الأصوات والروائح كذلك . ونظرية انبعاث الضوء للشهير (نيوتن) ليست إلا صورة جديدة من المعانى الصور

Idées-forces

المعانى القوى

وهى المعانى أو الأفكار التى تنحكم فى الأمم مثل الاستقلال . الحرية

Induction

الاستقراء

تتبع الجزئيات لإيجاد حكم أو رأى

Identité

ذاتية

Intuition

الحدس

وهو انتقال الذهن من المبادئ للمطالب مباشرة أما (كنت) فعنده الحدس والادراك الاولى (perception) بمعنى وادراك الزمان والمكان حدس محض عنده

Immanence

الحالول

Impératif catégorique

الأمر بلا شرط

راجع لفظ (catégorique)

Intelligence, intellect

القوة المدركة

هى ملكة العلم والمعرفة

Intelligible

معقول

ويقابله المحسوس (sensible)

ومنه مبدأ المعقولية العامة universelle intelligibilité وفخواه : كل واقع فى الوجود معقول أعنى ممكن رده الى قوانين العقل . أو يجد من العقل محلاً لقبوله على الأقل وهو عين مبدأ السبب الكافى للفيلسوف (لايبنتز)

Impossible

الممتنع

وهو المستحيل الذى لا يجوز العقل وجوده

Infini

اللانهاية

يختلف معنى هذا اللفظ عند الجدليين وعند الرياضيين فالجدليون يعبرون به عن كل ما لا حد له فى الكمال والاطلاق - فهو عندهم بمعنى ايجابى لا سلبى أما اللانهاية عند الرياضيين فهى كل كمية أكثر من كل كمية محدودة : فهى بهذا المعنى عبارة عن (غير المحدود) عند الجدليين

Idéaliser

ابدع

الابداع الخلق على غير مثال وهذا لا يكون لغير الخالق ويراد هنا انقان الفنى
فى عمله للوصول الى محاكاة المثل الأعلى

Imagination créatrice

التخيل الاختراعى

Idéal moral

الكمال الأقصى

وهر الخير فى ذاته

Immatérialité

اللامادية

يراد بهذا اللفظ غالباً لامادية النفس . روحانيتها . ولكنه لا يدل الآ على الصفات
السلبية للروحانية أعنى الوحدة وعدم التركيب وعدم الحيز . أما مدلول الروحانية
فيشمل أيضاً حركة النطق ونواميسها الغريزية

Intelligibilité

المعقولة

يفرق المتأخرون بين أدرك (Concevoir) وعقل (Comprendre)
وبالتالى بين الادراكية والمعقولة (Concevabilité) فمبدأ عدم التناقض شرط
الادراكية مثلاً دائرة مربعة هذا غير مدرك (غير مفهوم) لأن فيه تناقضاً
ومبدأ الضرورة (أو العلية) شرط المعقولة . فقد يكون الحادث مفهوماً ولكنه
يبقى غير معقول حتى يرد الى قانون يجعله ضرورة
وكذلك القانون لا يصير معقولاً حتى يرد هو أيضاً الى قانون أعم منه مثلاً
قوانين التناقل (الجليليه) معقولة لأنه يمكن استنتاجها أيضاً من قوانين الجذب العام
(لنيوتن)

فالمعقولة تمثل الأشياء تحت حكم الضرورة

Intellectualisme

المذهب الادراكى

ويقالبه المذهب الحسى " sensualisme

J

Jugements problématiques	{	أحكام ظنية (مشكوك فيها)
Jugements assertoriques		
Jugements apodictiques	{	أحكام اعتقادية (مؤكدة بلا دليل)
	{	أحكام قطعية

L

Logique formelle	منطق الشكل
وهو القسم الخاص بالتصور والقياس العقلي وقوانينه والأقيسة وأشكالها	
Logique matérielle ou pratique	منطق المادة
(méthodologie) وهو القسم الخاص بأقسام العلوم وأساليبها	
Loi morale	{ القانون الأدبي
Loi naturelle	
وهو قانون الأخلاق	
Loi de la Nature	ناموس الطبيعة
Loi nécessitante	قانون قسرى
Lieu	الحيز

هو الفراغ المحدود . وعند أرسطو السطح الباطن من الحاوى المماس للسطح
الظاهر من المحوى . وعند غيره : الأبعاد الخارجية للأجسام

Lycée (philosophes de)

هم أصحاب أرسطو لأنهم كانوا يجلسون في معبد أبولون ليسيان (Apollon
Lycien) ويسمون أيضاً عند فلاسفة الاسلام بالمشائين péripatéticiens

M

Macrocosme

العالم الأكبر

سمى العالم بالعالم الأكبر وسمى الانسان بالعالم الأصغر . لأنهم يقولون ان الانسان صورة مصغرة من العالم

Majeure et Mineure كبرى القياس المنطقي وصغراه

Matérialisme

مذهب المادية

وهو المذهب الذى يَرُد كل شىء فى الوجود الى وحدة المادة ومعناه الأخص انكار روحانية النفس . والمذهب القديم القائل بالجواهر الفرد فرع من المذهب المادى

Matière

المادة

المادة بمعناها الأعم كل ما وجد ويقابلها الصورة (forme) وعند فلاسفة القرون الوسطى نوعان من المادة : الهيولى وهى المادة على غير شكل (Matière première) والمادة الثانية وهى المادة المحدودة القابلة للتغيير أيضاً والمادة بمعناها الأخص كل ما تناولته الحواس

Mécanisme

ميخانيكية — مذهب الآلية

(١) وهو كل ما جرى على أصول وقواعد رياضية . لأن قوانين الحركة قوانين رياضية صرفة

(٢) مذهب فلسفى لديكارت وأصحابه حيث يقولون إن وجود العالم قاصر على المادة (وهى عنده الامتداد) والحركة . ويعارض هذا المذهب مذهب القوة الميكانيكية (Dynamisme)

Mémoire	الحافظة
Mérite	فضل — حسنة
	وهو كل ما زاد في القيمة الأدبية للأفعال البشرية
Métamorphose	استحالة — انسلاخ
	الاستحالة تغير الصورة كاستحالة الشرقة الى فراش في تطور دودة القز والقطن وعند الفزويني انسلاخ
Métaphysique	ما بعد الطبيعة — النظر الجدلي
	هو علم الأصول والعلل الأولى للوجود وهو العلم الالهي عند فلاسفة الاسلام
Métaphysiciens	الجدليون
Métaphysiquement	بالأنظار الجدلية
Métaphysique (essence)	ماهية عقلية
« (idées) »	معاني جدلية
Métempsycose	التناسخ
	انتقال الروح من انسان لآخر بعد مماته وهو من مذاهب قدماء الهند والمصريين
Méthode	الأسلوب
	وهو مجموع المقدمات الصحيحة الموجزة الموصلة للحقائق . منها أساليب العلوم
	المدونة بمنطق المادة (Méthode des sciences)
Modalité	الحال
	زاد (كنت) على المقولات (الحال) وجعل تحتها ثلاثة : الوجود والامكان
	والوجوب وان كانت جمعاً فهي بمعنى الصيغ جمع صيغة (mode)

Modes du syllogisme ضروب القياس (منطق)

Moi. Non — moi الأنية والغيرية

ليست الأنية هي النفس تماماً وإنما هي النفس حين تشعر بذاتها - وهي واحدة غير مركبة لا تتغير ذات ارادة (حرة) - هي الشخصية المعنوية (حيث تقع عليها تبعاً أفعالها)

Dédoublement du Moi تعدد الوجدانات والأنبات

Moi intellectuel النفس

Moi sensible الجسم

Molécule الذرة

هي أصغر أجزاء المادة . وهي ليست بالجواهر الفرد بل الجواهر من أجزائها . والجواهر عنصر حقيقى أما الذرة فهي أشد أجزاء الجسم المركب صغراً . ويبقى مستقلاً فى وجوده

Monade الموناد

عند لايبنتز (الموناد) عبارة عن وحدة قوة غير مركبة أى بسيطة تمثل العالم على صغرها المتناهي ولذلك سميت عند أهل المذهب (Microcosme) أى العالم المصغر ماهيتها الشوق أو النزوع الدائم للانتقال من ادراك لآخر . فهي غير الجواهر الفرد الذى هو جسم لا يتجزأ ولا يتغير . أما الموناد فهو قوة حية قابلة للنمو

Monisme مذهب وحدة المادة

ومنه مذهب وحدة الوجود ويقابله مذهب الاثنينية (Dualisme) كذهب (ديكارت) فى أصل الوجود وهو المادة والحركة ومذهب غيره : المادة والروح

Monothéisme	مذهب التوحيد
	ويقابله مذهب الشرك polythéisme
Morale (éthique)	علم الأدب — علم الأخلاق وهو علم الواجب
Moral (sens)	حاسة اخلاقية يسمى بعضهم الضمير بالحاسة الاخلاقية
Moral judgement. Moral law	القانون الأدبي
Moralité	الاخلاقيات
Moralité de l'acte	معنوية الفعل هي القيمة الأدبية للأفعال البشرية
Mouvement autonome	حركة مستقلة
Mouvement réflexe	حركة قسرية
Mouvement spontané	حركة ذاتية
Monde Moral	العالم المعنوي
Monde corporel ou physique	العالم الحسي
Modifications de l'esprit	توليدات العقل
Matérialisme historique	المادية التاريخية
مذهب يقول ان الأسباب الاقتصادية لها الأثر الفعلي دون غيرها في مصير الحضارة للأمم فهي التي تؤثر في نظام العائلة والحكومة والأخلاق والعادات والمعتقدات والحالة الأدبية والفنون والعلوم والحكمة . . . الخ	

Idéalisme historique

المعنوية التاريخية

ويذهب أصحابه الى أن الأفكار الأدبية والدينية والعلوم والفنون والفلسفة وبالجملة كل ما يتعلق بالحياة العقلية والأخلاقية هي التي تفعل بقسوة حتى في الأمور الثانوية للحياة الاقتصادية وهي التي تشكل الحضارة وتجدد الصفات المميزة لها.

Magnétisme animal

المغناطيسية الحيوانية

كما يقولون ان للسيال المغناطيسي فعلاً من بُعد فيظهر أثره بين العاشقين والأجسام المكهربة . يقولون كذلك بوجود سيال آخر مشابه للأول مصدره المجموع العصبي لبعض الأفراد في شروط معينة . يفعل في غيرهم وفي الأشياء أيضاً ويسمونه بالمغناطيسية الحيوانية . وهي في نتائجها تقرب كثيراً من أحوال التنويم المغناطيسي والايحاء

Mentalité

عاقلة — عقلية — ذهنية

Mentalité générale

عقلية الجمهور — معقول الجمهور

وهي الحالة العقلية للإنسان أو الجمهور في تصور الحقائق

N

Nécessaire

الواجب — الضروري

هو الموجود الذي يمتنع وجوده

فالحقائق بالضرورة (vérités nécessaires) لا يكون نقيضها باطلاً فقط

بل وغير معقول أيضاً

والضرورة القائمة على مبدأ عدم التناقض عقلية أو حكمية (nécessité logique)

(ou de droit) مثل الكل أعظم من الجزء . ومجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين

والضرورة القائمة على مبدأ العملية : تجريبية أو فعلية (nécessité empirique)

(ou de fait) مثل الجذب بين جسمين مناسب لعكس مربع المسافة . وانتشار

الضوء والحرارة مناسب لعكس مربع المسافة

Néo-criticisme مذهب النقد الحديث

وهم أصحاب (كُنت) وعلى الأخص المذهب الفرنسى

Néo platonisme مذهب أفلاطون الجديد أو الأفلاطونية الحديثة

وهى مدرسة الاسكندرية ورئيسها أفلوطين (Plotin)

Nominalisme المذهب اللفظى

وهو مذهب المنكرين لحقيقة الكليات (أى المعانى العامة) ولا يرون فيها إلا ألفاظاً وأسماء

ومثله المذهب المعنوى (Conceptualisme) القائل بأن الكليات ليست إلا معان ذهنية

Noumène الحقيقة الذهنية (عند كنت)

كلمة نحتها كنت للدلالة على (الشئ فى ذاته) فى مقابل قولهم ظواهر phénomènes ومعناها الشئ الذى لا يدرك إلا بالعقل

Notions premières الأوليات

وهى المدركات الأولية للقوة المدركة مثل الضوء ضد الظلام. والحيوان غير النبات
وهى المعقولات الأولى فى الفلسفة العربية

O

Objet. object الموضوع — المنفعل — المدرك

Objectif موضوعى — خارجى

وهو ما يتعلق بالموضوع أو الحقائق الخارجية

أصول الفلسفة (٢٣)

الموضوعية Objectivité

كموضوعية الحس وموضوعية المعرفة أى تناوُلها للأشياء فى ذاتها

علم الكيان Ontologie

هو علم الكائن من حيث هو (صناعة الكيان عند الفارابى)

الدليل الكيانى }
Ontologique (preuve)
Ontological Argument

ملاحظة ذاتية (بالوجدان) }
Observation interne
introspection

ملاحظة خارجية (بالحواس)
Observation externe

ملكوت Olympe

المذهب الاتفاقى Occasionisme

عمل الحس Opération sensitive

حركة النفس عند إعمال الحواس

عمل العقل Opération intellectuelle

هو حركة النفس فى الأعمال التحضيرية للقوة المدركة كالانتباه والتجريد والتعميم والحكم والنظر

نظام طبيعى Ordre naturel

نظام قدسى Ordre surnaturel

P

مذهب وحدة الوجود Panthéisme

ويقابله مذهب تعدد الوجود panenthéisme

Paralogisme

قياس فاسد

Pétition de principe

قياس دائر

في المنطق قياس كالداثرة الفاسدة (cercle vicieux)

Phénomène - Phenomenon

الظاهرة

كل ما أمكن ملاحظته - وقد تأتي بمعنى حادث (fait) ولكن الفلاسفة يستعملون لفظ حادث فيما لا يمكن ملاحظته مثلاً تموجات الأثير هذه حوادث وليست بظواهر

وكذلك ليست القوى الطبيعية والخواص والملاكات بظواهر وإنما أثرها المحسوس أو الوجداني هي الظواهر عندهم فجذب الأرض ليس بظاهرة ولكن سقوط جسم من الأجسام ظاهرة . والعلة ليست بظاهرة ولكن المعلول ظاهرة . وما يمكننا التي تعرف بها الظواهر هي التجربة

والظواهر نوعان حدسية ووجدانية

ويقابلها حقائق كانت Noumènes أى الأشياء فى ذاتها (راجع هذا اللفظ)

Polysyllogisme

القياس المركب

Positif

الواقع

أى المحقق الذى لا نزاع فيه ومنه فلسفة الواقع (لاغست كونت)

Positives (Sciences)

علوم الواقع

Positivisme

المذهب الواقعى

يقول (أغست كونت) (Auguste Comte) كل بحث عن العمل بحث

لا طائل تحته . والعلم يجب أن يقف عند الأمور وقوانينها ليس الآ - ويقابله ما بعد

الطبيعة métaphysique

Potentiel	بالقوة
ما كان موجوداً بالقوة لا بالفعل . كالتمثال مثلاً في كتلة الرخام قبل نحتها	
Pragmatiques (vérités)	حقائق حدوثية
أى حقائق يشهد بصحتها أو بطلانها التجربة والحدوث	
Prémises	المقدمتان الأوليان
فى القياس المنطقى هى الكبرى والصغرى	
Processus	الحركة الحيوية
Péripatétisme	مذهب المشائين
وهم أصحاب أرسطو - أو فلاسفة اللىسيه (Lycée) لأنهم كانوا يجلسون فى معبد أبولون ليسيان Apollon Lycien راجع لفظ (Académie)	
Protoplasme	النطفة
Prototypes de Platon	مُثل أفلاطون
propositions contraires	قضايا متخالفة فى الكيف كلية
propositions subcontraires	قضايا متخالفة فى الكيف جزئية
propositions subalternes	قضايا متخالفة فى الكم
propositions contradictoires	قضايا متناقضة
propositions affirmatives	قضايا موجبة
propositions négatives	قضية سالبة
propositions universelles	قضية كلية
propositions particulières	قضية جزئية
propositions opposées	قضية متباينة
propositions modales	قضية موجبات
propositions complexes	قضية مؤلفة

Principe d'identité

مبدأ الذاتية

الشيء الواحد اما موجود واما معدوم . والشيء لا تتغير ذاته بل يبقى هو هو
بهيئته وذاته

Principe de causalité

مبدأ العلية

العلية هي الرابطة الحقيقية بين العلة والمعلول . والقاعدة التي تربط بها المعلول
بعلته تسمى مبدأ العلية

Psychologie

علم النفس

Psychologiques (faits) — نفسانيات — أمور نفسية

Psychologique (vie)

النامة

والنامة حياة النفس (المخصص)

Psychologique (Conscience)

الوجدان

Perception

الإدراك الحسي

Perception interne

الحس الباطن

وهو ما كان بالوجدان

Perception externe

الحس الظاهر

وهو ما كان بالحواس

Parcimonie (loi de)

قانون القصد

هو قانون الطبيعة حيث تنهج في سيرها منهج التقدير والقصد وتسلك أقرب
المسالك . فلا تزيد في عدد الكائنات ولا تضاعف العمل بغير حاجة أي تصمم في
صنعها صموراً وتقتصر قترأ



Qualité

الكيف

Quantité

الكم

وكلاهما من مقولات ارسطو العشرة



Raison - Reason

العقل

entendement راجع

Reason (theoretical)

Raison spéculative العقل النظري أو النظر العقلي

وهو اسم العقل عند نظره في العلوم الرياضية

Raison pratique

العقل العملي أو النظر العملي

Reason (practical)

وهو الضمير عند (كنت) أي العقل عند نظره في الأخلاقيات

Raisonnement - Reasoning القياس العقلي أو النظر

وهو انتقال من حقيقة بديهية أو قام عليها دليل الى حقيقة أخرى فالنظر كسبي

والعقل حدسي (intuitive)

وفي شرح المواقف : النظر ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره

Réalisme

المذهب الوجودي

وأصحابه هم الذين لا ينكرون الوجود الخارجي كأصحاب المذهب الخيالي

(Idéalisme) راجع اللفظ الأخير

Réalité - Reality

حقيقة — واقع

وهي الحقيقة الواقعية أى التي لها وجود فعليّ ويقابلها الممكن (possible)

Relatif

اضافى

وهو ما كان متعلقاً بغيره على خلاف المطلق الذى لا تعلق له بغيره . وعند هـامـتون

المشروط conditionnée

Relativité - relativity

الاضافية

المعرفة عند (بسكال وكنت) كلها اضافة لا مطلقة بمعنى اننا لانعرف شيئاً
فى الوجود الا بواسطة ملكات المعرفة فينا . وتحكم صور تلك الملكات وقوانينها فى
معلوماتنا امر لا مفر منه

Relativity of knowledge

اضافية المعرفة

Représentation

التمثل

هو الصورة التى تعقب الاحساس فى النفس وهو اما حسىّ (أى لاذ أو مؤلم)
واما مصوّر (ممثل للأشياء التى أحدثته) ويسمى بالتمثل الحسوس (rep. sensible)
وضع شو بنهور مصنفًا كبيراً ليثبت أن العالم (ارادة) فى ماهيته (وتمثل) فى معرفتنا له

Raisonnement analogique

النظر التمثيلي

وهو ما كان مبنياً على التمثيل وهو اثبات حكم واحد لثبوته فى جزئى آخر لمعنى
مشارك بينهما

Raisonnement inductif

النظر الاستقرائى

وهو ما كان مبنياً على الاستقراء وهو الحكم على كلى لوجوده فى اكثر جزئياته

Raisonnement déductif	النظر القياسى
	وهو ما كان مبنياً على القياس وهو رد الشئ الى نظيره
Réalité objective	الحقيقة الخارجية
Réalité subjective	الحقيقة العاملة
Réalité intelligible	الحقيقة الذهنية
	(راجع Idée)
Rationalisme	المذهب العقلى
	وهو النظر فى الأمور من طريق العقل دون التبليغات والإلهامات
	ومنه علم الكلام (Ration. théologique) وهو محاولة تفسير الكتب
	المقدسة والعقائد القدسية على مقتضى قواعد العقل

S

Scepticisme	مذهب الشك
	وهم المتشككون الذين يرتابون فى صحة تقارير العقل الانسانى
Scolastique (philosophie)	الفلسفة المدرسية
	وهى فلسفة القرون الوسطى المؤسسة على فلسفة أرسطو والعقائد الدينية
Sensibilité	الحساسية
	وهى ملكة الاحساس والعواطف والميول والشهوات
Sensation	الحس — الاحساس

Sens commun	الذوق العام — الذوق المألوف
أو الشعور العام عند علماء المشرق : وهو جملة المبادئ المشتركة المتخذة أساساً للحكم والقياس	
Sens moral	ذوق أخلاقي — أو حاسة أخلاقية
Sensualisme	المذهب الحسي
القاتل بأن الحواس هي مصدر جميع المعلومات البشرية	
Sentiment esthétique	عاطفة الجمال
الخاصة بالفنون الجميلة	
Sentiment surnaturel	عاطفة قدسية
كعواطف الدين	
Sentiment intellectuel	عاطفة روحية
كالفرح والسرور والحزن والأسف	
Sentiment moral	عاطفة أخلاقية
كالشرف والحياء والاحترام والارتياح لفعل الخير	
Spiritualisme	المذهب الروحاني
وهو القائل بالجواهر اللامادية التي لا تقع تحت الحواس كالنفس	
Sujet — Subject	الفاعل — العامل — المدرك
Subjectif	عالمي — شخصي
Subjectivité	العاملية
مثل عاملية المعرفة : عند أصحاب المذهب الخيالي المعرفة لا تتناول الأشياء في ذاتها بل هي عاملية محضة أي تكون بحسب قوانين الفكر ليس الآ	
أصول الفلسفة (٢٤)	

Subconscience	وجدان ثانوى
Suprasensible	ما فوق الحس كالنفس وخالق الوجود
Suggestion	الايجاء وهو القاء المعنى فى النفس بخفاء وسرعة (التعريفات)
Stoïciens	الرواقيون وهم أصحاب زينون
Substance	الجوهر
Substance intellectuelle	جوهر روحى — كالنفس
Substance pensant	الجوهر الناطق
étendue	الجوهر ذو الامتداد وهما عند (ديكارت) النفس والجسم
Substance métaphysique	جوهر عقلى — جوهر مجرد — كالمطلق عند الجداليين
Sensation affective	الحس الشهوى
Sensation représentative	الحس المصور
Syllogisme	القياس المنطقى
Servage	الأكارة
Serf	أكرار
Sociologie	علم الاجتماع

Sophisme

المغالطة

Statique sociale

القرار الاجتماعي

أى استقرار القوى الاجتماعية ونظام الجماعات وشرائط وجودها فى علم الاجتماع
(sociologie)

Synthèse

التركيب

وهو ضد التحليل (analyse)

Syncretisme

مذهب يجمعه أصحابه من المذاهب الأخرى بلا بحث ولا نقد

T

Terme لفظ — حد — حدود (فى القياس المنطقى)

Types de Platon

مثل أفلاطون

راجع (Idée)

Tradition

التواتر

Tout. naturel

الكل الطبيعي

وهو كل مركب حقيقى أو منطقى (عقلى) والكل الأعظم (Grand tout)
هو وحدة العالم وخلق الوجود . والرجوع الى الكل الأعظم . معناه رجوع العقول كلها
الى العقل الأول أو الجوهر الكلى فى اصطلاح أهل الكلام

Transformisme }
Transformation }

التحول

وهو مذهب القائلين بأن جميع الكائنات الحية من أصل واحد ثم استتحات الى
أنواع بالتطور والتحول وهو مذهب لامارك (Lamarck) ودروين (Darwin)

Transcendental

أولى - جولى

أى متعلق بالعقل المحض . خاص بالمزاج العقلى وسابق على كل تجربة وهو
أساس مذهب (كنت)

والجول - لبّ الانسان ومقوله (المخصص)

Transmigration

تناسخ الأرواح

Temps

الزمن

الزمان هو المجموع الكلى للمدد (durées) باعتبارها مجردة وثقاس المدة بالحركة
والجدليون لا يفرقون بين الزمن والمدة فقط بل وبين الزمن والأبدية (éternité)
التي لا تتجزأ وليس لها سابق ولا لاحق

أما (لا يبتز) فيعرف الزمان بأنه نظام الأشياء المتعاقبة . والمكان نظام الأشياء
الحاصلة فى وقت واحد

أما (كنت) فيقول ان الزمان صورة أولية (forme à priori) للحساسية
فهو صورة الحس الباطن عند ادراكه الأمور المتعاقبة للحياة الباطنية . والمكان
صورة الحس الظاهر عند ادراكه الأمور الحاصلة فى وقت واحد

U

Unité

وحدة

وهى عند (كنت) احدى أحوال الكم الثلاث وهى : الوحدة والكثرة والجملة
فالوحدة هى الماهية مشخصة تشخيصاً مميزاً لها عن جميع ما عداها . وإذا
تشخصت بمشخصات عديدة بحيث كانت مع كل واحد من تلك الشخصات جزئياً
مغايراً للجزء الآخر سمي الجميع كثرة

وقد تطلق الوحدة على الكثرة بالاعتبار والقياس الى ما هو أعظم منها كثرة
كالعشرة فانها ليست ذات وحدة حقيقية بل ذات كثرة ولكن تعتبر وحدة
للمئات . والكثرة عرضت لها من حيث أنها جملة واحدة

Understanding

الادراك العقلي

Universaux - prédicables

الكليات

الكليات هي المعاني العامة في الفلسفة الحديثة . وهي المعقولات الثانية في الفلسفة
العربية (ما لا يكون بازائه موجود في الخارج)

Universel (consentement)

الاجماع العام

V

Vérités premières

الحقائق الأولية

Vérités intellectuelles

حقائق عقلية

Vie affective

الحياة الشهوية

Vie intellectuelle

الحياة العقلية

Vie active

الحياة العاملة

Vie morale }
Vie mentale }

الحياة النفسية (علم النفس)

Vie morale الحياة الأدبية (علم الأخلاق)

Vide et plein الخلاء والملاء

Volition عمل الإرادة

Vérité حقيقة — صواب

الحقيقة من حيث مطابقة الفكر للواقع ويقابلها الخطأ (erreur)

Véracité divine الخاطر الرباني

أو التجلي (عند الصوفيين) هو الضمان لصحة المعرفة الخارجية عند (ديكارت)

Vision en Dieu الفناء في الله

أي التوجه الكلي إلى الذات القدسية وهو ضمان صحة المعرفة الخارجية عند

(مالبرنش)

